عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس



المقامات والأحوال عند الصوفية

وموقف السلف منها

مؤمن جمال عبد العزيز مرعي

رسالة ماجستير

القدس – فلسطين

1442هـ – 2021م

المقامات والأحوال عند الصوفية

وموقف السلف منـها

إعداد:

مؤمن جمال عبد العزيز مرعي

بكالوريوس تعليم التربية الإسلامية من جامعة القدس المفتوحة/فلسطين

المشرف: د. سعيد سليمان القيق

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين من كلية الدعوة وأصول الدين/ عمادة الدراسات العليا/ جامعة القدس.

1442هـ - 2021م



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج أصول الدين

إجازة الرسالة

المقامات والأحوال عند الصوفية

وموقف السلف منها

اسم الطالب: مؤمن جمال عبد العزيز مرعي

الرقم الجامعي: 21612611

المشرف: د. سعيد سليمان القيق

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 19/ 7 /2021م، من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوقيعاتهم:

رئيس لجنة المناقشة: د.سعيد القيق التوقيع: ....

ممتحننا داخلياً: أ.د. مصطفى ابو صوي التوقيع : ....

ممتحننا خارجياً: د. أحمد فواقة التوقيع: ....

القدس – فلسطين

1442هـ/ 2021م

الاهداء:

إلى سيد الدعاة، خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين. إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

إلى من كانت يداه مبسوطتان لإسعادي ولإنجاحي، إلى الذي وهبني هيبة الرجال بجأش الآباء

إلى سيد الآباء ... إلى والدي الطيب.

إلــى التــي كانــت دعواتها صدى فــي أذنــي، ورحمة علــى قلبــي، وتخفيفًا من مكابدتــي

إلى أمي الحنون.

إلى رفيقة الدرب، التي كانت دومًا بجانبي، تساندني وترعاني

إلى أم أبنائي وزهرة أيامي...... إلى زوجتي الغالية.

الى أبنائي الأعزاء، وفلذات كبدي، الذين أسأل الله أن يكتبهم من أهل التقى والصلاح، وأن يجعلهم من أهل العلم والدين...... إلى جمال وناصر الدين.

إلــى الشمــوع التــي أنارت لــي دروب العلــم والمعرفة،

منذ طفولتــي وحتــى تخرجــي .... إلــى أساتــذتـــي الأفاضـــل.

إلــى من كانت نظراتهم إلــي فرحتــي، وشجاري معهم شقوتــي، وحبــي لهم حياتــي

إلــى إخوتــي، وزملائــي الأحباب.

بكل فخر أهديكم جميعًا هذا العمل المتواضع على طبق من الحياء.

إقرار

أقر أنا مُعِدَّ الرِّسالة بأنَّها أُعِدَّت لجامعة القُدْس لِنيل درجة الماجستير، وأنَّها نتيجة بحثي الخاص واطّلاعي الواسع، قمت بجمعه ودراسته، وقمت بالنَّقل والاقتباس من المصادر والمراجع التي لها صلة ببحثي، وأنَّ هذه لرسالة لم تقدَّم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع: مؤمن مرعي

الاسم: مؤمن جمال عبد العزيز مرعي

التَّاريخ: 2021/7/19.

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد:

فإن هذه الرسالة قد تضمنت الحديث عن الأحوال والمقامات فى الفكر الصوفي، وقد تعرضت تلك الدراسة إلى تحرير المصطلحات الواردة بالدراسة بشكل مستوعب من الكتب الأصولية، والمراجع المعتبرة عند أصحاب كل فن من الفنون، وعلم من العلوم، كما تعرضت الدراسة إلى تفنيد بعض الشبه المثارة حول علم التصوف، وإثبات أنه علم مستقل قد خدمه العلماء كما خدموا غيره من العلوم الإسلامية، كما ناقشت الدراسة كلًا من مصطلح الأحوال، والمقامات والتفرقة بينهما، وأهم الضوابط فى هذا الشأن، ثم ناقشت الرسالة مصادر التلقي عند الصوفية، وبينت آراء العلماء من السلف فى كل مصدر من مصادر التلقى عندهم كمصدر الإلهام، والذوق، والعلم اللدني، ثم ناقش الباحث هذه الأقوال واستخلص من تلك المناقشة ترجيحًا بُني على القواعد الكلية المعتبرة فى الشريعة الإسلامية بشأن كل مسألة من المسائل محل الدراسة.

هذا ونحسب أننا فى هذه الدراسة قد توصلنا بشكل مرضي إلى نتائج وتوصيات أشرنا إليها فى خاتمة هذه الرسالة.

والله تعالى أعلى وأعلم، وهو بكل جميل كفيل، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

Cases of the spiritual stages and Maqaamat (Stations) of Sufism

Prepared by: Mo’men Jamal AbdelAziz Merie

Supervisor: Dr Saed Al-Qeq

Abstract

Praise be to Allah and may his blessings and peace be upon Mohammed the prophet of Allah and his family, companions and loyalists.

thesis research includes the cases of the spiritual stages and Maqaamat (Stations) of Sufism. This study was exposed to a wide range edits for its terminology from the original books and primary sources of the founding scholars of each art and each science. Also, it addeessed the rebuttals against the suspicions about Sufism and proved that Sufism is an independent science that scholars served it like they served any Islamic science in Sufism. Also, the research discussed the terms of spiritual stages and Maqaamat and the differences between them and their guiding principles. Then the research discussed the receiving sources in Sufism and the predecessor scholars’ opinions show that each receiving source is considered a source of inspiration, personal internal experience, and divine knowledge. The researcher also discussed those opinions, and he concluded by giving preference based on the significant rules of Shari'a (Islamic law) concerning each case in the study.

So, we hope tthat in this study that we grasped a satisfying results and recommendations that was pointed out in the conclusion of this research.

Allah knows the best tand is the greatest. He is absolutely our Protector. And Allah is Sufficient for us! Most Excellent is He in Whom we trust

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده االله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا االله وحده لا شريك له، وأشهد أنً محمدًا عبده ورسولهصلى الله عليه وسلم.

أما بعد..

فلقد كان الناس يعيشون قبل مبعثّ نبينا محمدصلى الله عليه وسلم في مجتمع كان الشرك فيه متفشيًا، والقبور تُعظم وتقدس، بل واتخذ الناس من دون االله آلهة من بشر وحجر، يستغيثون بهم عند الشدائد والخطوب، ويدعونهم في الكروب والهموم.

وفي ظل ذلك الجو الجاهلي المظلم بعث االله – تعالى– نبي الرحمة والهداية للبشرية جمعاء؛ ليخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان والرسالة الحقة، فدعا إلى إفراد الله بالعبودية دون سواه، وحذر من الشرك والوثنية، وأكمل لهم الدين، وبيَّن لهم الشرائع والعبادات، وحذَّرهم من البدع والضلالات، فقد دعى الإسلام إلى طهارة النفس والزهد والحد من التعلق بالدنيا ومتاعها، ودعا إلى التوسط والاعتدال فى حب الدنيا. وظل الأمر على ذلك حتى اختلط المسلمون بغيرهم، وتأثروا بالفلسفات القديمه، كاليونانية والأديان الهندية من هندوسية و بوذية ، وأدخلوا في دين االله ما ليس منه، ارضاءً لاهوائهم ورغباتهم، فزين لهم الشيطان سوء عملهم، وصدهم عن سبيل الهداية.

ومن ذلك: أن بعض غلاة المتصوفة رسموا لأنفسهم منهجًا في العباده مخالفًا لمنهج السنة النبوية، حتى وصلوا إلى استحسان الكفريات وعمل الشركيات، ونسبوا تصريف الكون الى أوليائهم وأقطابهم، فوقعوا في التجسيد والحلول والاتحاد.

فأخذ فريق منهم بإحداث بعض البدع التى تخالف صريح القران والسنه، ولم يكن عند سلفهم الصالح أمثال الجنيد، والغزالى، وأبو طالب المكي، وغيرهم من أقطاب هذا العلم، ومشايخ هذا الطريق والفن. إلا من اعتدل منهم فاتبع القرآن والسنة في ذلك، فهداهم الله بهديه.

أسباب اختيار البحث:

1. الرغبه في خدمة علم العقيدة، وبيان أهم العوامل التي أثرت فيه، والافكار الدخيلة عليه من البدع والخرافات، وتنقيته منها.
2. قلة وجود دراسة مستوفاة وشاملة ومجتمعة في هذا المجال.
3. حاجة المكتبة الاسلاميه إلى بحث علمي محكم، يتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفه، ويجمع شتاته، كما أن هناك بعض المباحث تتعلق بهذا الموضوع وتحتاج إلى بحث ودراسة.
4. رغبتي الحثيثة في الكتابة حول تاريخ المدارس الفكريه في الاسلام ، ودراسة أحد تلك المدارس بشكل مفصل.
5. استجابةً لتوجيه أستاذي المشرف الدكتور/ سعيد القيق- حفظه الله-، ولفته انتباهي، إلى أن هذا الموضوع لم يتناوله إلا قلة من الباحثين، وبصورة مختصرة.

أهداف البحث:

1- توضيح المصطلحات والمفاهيم عند المتصوفة.
2- الرد على الأفكار الخاطئه لدى بعض الصوفيه في هذا المجال، والتي أوقعهتم في كثير من المخالفات العقدية، والتعبدية.
3- بيان دور علماء السلف في معالجة الفهم الخاطئ لأمور الدين والعقيدة.
4- جمع شتات الموضوع من الكتب والمصادر المختلفه، وإخراجه بطريقة علمية موضوعية.
5- التنبيه لخطورة الأخذ من الثقافات الأخرى دون تمييز أو تمحيص.

مشكلة البحث:

1- ما هو تعريف المقام ؟
2- على ماذا يشتمل المقام؟
3- ما هو تعريف الحال وعلى ماذا يشتمل؟
4- ما مدى ارتباط المقامات والأحوال بالعقيدة الصحيحة النابعة من الكتاب والسنة.
5- ما الفرق بين المقامات والأحوال عند السلف والصوفية؟

6- ما رأي علماء السلف في المقامات والأحوال؟

7- ماهى مصادر أفكار المدرسة الصوفية؟

الدراسات السابقة:

1- (**التَّصَوُّفُ .. المنشَأ وَالمَصَادر**)، المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: 1407هـ)، **الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان**، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م

وقد طبع الكتاب بصورة متوسطة الحجم لا يزيد على ثلاثمائة صفحة، واشتمل على تاريخ التصوف، بدايته ، منشأه ومولده ، مصادره وتعاليمه ، عقائده ونظامه ، سلاسله وزعمائه وقادته، وأخرج المصنف كتابا أخر تكملة لأفكار هذا المجلد وسيأتى بيانه بنبذة مختصرة.

2- (**دراسات في التصوف**)، المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: 1407هـ)، **الناشر: دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع**، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م

اشتمل هذا الكتاب على أهم طرق التصوف ومنشئيها، وأعيانها وأكابرها ببعض الاختصار والاقتضاب بدون الإفاضة والإطناب، وكذلك عالج هذا الكتاب أبرز المصطلحات الوارد ذكرها فى علم التصوف "كالحقيقة المحمدية "و" القطب "و" الأبدال "و" الأوتاد "وغيرها من المصطلحات التى يستخدمها المتصوفة، ويعد هذا الكتاب الجزء الثاني للمؤلف إحسان إلهي ظهير.

3- (التعرف لمذهب أهل التصوف)، المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، **الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.**

وقد اشتمل هذا الكتاب وتناول وصف طريقة المتصوفة، وبيان نحلتهم وسيرتهم من القول في التوحيد والصفات وسائر ما يتصل به مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ولم يخدم مشايخهم، فهو بمثابة محاولة لفهم طريقة القوم فى السلوك والتعبد، لذلك قال المصنف عن هذا المؤلف " فكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم ويدركه من لم يدرك عباراتهم وينتفي عنهم خرص المتخرصين وسوء تأويل الجاهلين ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه مفتقرًا إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه بعد أن تصفحت كتب الحذاق فيه وتتبعت حكايات المتحققين له بعد العشرة لهم والسؤال عنهم".

4- **(الاخلاق فى الأحوال والمقامات)**، إعداد الدكتورة: بدرية محمد عبدالله الفوزان، الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود. المجلد الخامس من العدد الثالث والثلاثين لحولية **كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.**

وقد اقتصر البحث على عرض بعض المصطلحات الأخلاقية عند الصوفية وليس جميعها، مع دراسة الأخلاق في جانب الأحوال والمقامات الصوفية ونقدها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال استقراء الكتب والرسائل التي ألفت في هذا الموضوع.

5- **(رأي شيخ الاسلام ابن تيميه في المقامات والاحوال عند الصوفيه)** للدكتور صلاح بكري محمد يوسف، استاذ العقيده المساعد كلية اصول الدين، جامعة ام درمان الاسلاميه- السودان- **الناشر: مجلة جامعة الناصر، العدد الخامس- المجلد الاول- يناير – يونيو- 2015.**

وهو عباره عن مقال، بدأ الباحث بالتعريف بشيخ الاسلام ثم تناول فيه الباحث أربعة مقامات عند الصوفيه وهي {مقام التوكل والتوبة مقام الفقر والغنى، ومقام الزهد، ومقام التوبة من وجهة نظر شيخ الاسلام ابن تيمية ولم يتطرق في هذا البحث الى الاحوال عندهم الا بالتعريف).

6- **(الأربعون في التصوف)**، المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: 412هـ)، **الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن – الهند، الطبعة: الثانية، 1981 م.**

وقد اشتمل هذا الكتاب على أبواب فى علم التصوف مثل الاستقامة، والفقر، والخشية، والخوف وغيرها من الأحوال والمقامات.

7- **(المقامات والاحوال عند الصوفيه)**، للاستاذ المشارك في جامعة النيلين: محمد بحر محمد حسين. **الناشر: مجلة الشريعة للدراسات الاسلاميه العدد 22، رمضان 1434 اغسطس 2013.**

وهو عباره عن بحث صغير من (29ص) بدأ الباحث فيه بمستخلص البحث ثم عرف المقامات والاحوال ثم تناول فيه خمسة مقامات بشكل موجز، وهي{ مقام التوبة، والورع والزُّهد، والفقر، والصبر،والتوكل،} وثلاث أحوال { حال المحبة، والخوف، والرجاء}

عملي في البحث:

هذا وأود أن أشير إلى أن قصدي من هذا البحث ليس التحامل على الصوفية أو على أئمتهم، وإنما هدفي هو عرض الأراء الاعتقادية الصوفية ونقدها وفق منهج أهل السنة والجماعة، وسأعتمد في هذه الدراسة إن شاء الله- تعالى- على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي لموضوع "الأحوال والمقامات عند الصوفية "، وقد قمت في بحثي بما يلي:

1. استعنت في دراستي بمنهج العرض والتحليل إلى جوار المقارنة والنقد بعيدًا عن التعصب في مناقشة الأراء.
2. عرض عقيدة الصوفية وأهل السنة والجماعة، من خلال المصادر الأصلية.
3. الاعتماد على الأحاديث المخَّرجه في الصحيحين في الاستدلال إذا وجد الدليل فيهما أو في أحدهما أو الرجوع إلى كتب السنة الأخرى إذا لم أجد بغيتي فيهما.
4. إيراد الأدله التي اعتمد عليها أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه من الكتاب والسنة.
5. ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا الرساله ما لم يكن من المشاهير.
6. التعريف بالفرق التي ورد ذكرها في الرساله بشكل موجز.
7. عند الإحالة إلى المصدر أول الحاشية، أذكر: لقب المؤلف، واسمه، واسم الكتاب، والمحقق له، والطبعة، ودار النشر، وعام النشر إن وجد.
8. وفي نهاية الدراسة، جاءت الخاتمة التي تحدثت فيها عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لموضوع المقامات والأحوال عند المتصوفة.

وقد وضعت الفهارس العلمية للمصادر والمراجع فى آخر الرسالة، بعد الخاتمة.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

أما المقدمة فتشتمل على الحديث عن منهجي في البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة حول الموضوع.

الفصل التمهيدي:

المصطلحات الواردة في الدراسة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالصوفية. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى التصوف.

المبحث الثاني: التعريف بالمقامات.

المبحث الثالث: التعريف بالأحوال

المبحث الرابع: الفرق بين المقامات والأحوال.

المطلب الثاني: التعريف بالسلف. ويشتمل على:

مبحث واحد: التعريف بالسلف.

الفصل الأول:

الصوفية ، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نشأة التصوف، ومراحل تطوره، ويشتمل على مباحث :

المبحث الأول: بداية ظهور التصوف.

المبحث الثاني: مراحل تطور التصوف، والتدوين فيه كعلم مستقل.

المبحث الثالث: نشأة الطرق الصوفية وتنوعها.

المطلب الثاني: أشهر الطرق الصوفية، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أشهر الطرق الصوفية.

المبحث الثاني: أشهر المدارس الصوفية، مدرسة الإمام الغزالى (نموذجًا)

المبحث الثالث: أهم نقاط الاتفاق والاختلاف بين الطرق الصوفية.

الفصل الثاني:

المقامات عند الصوفية. ويشتمل على مطلبين.

المطلب الأول: المقامات، ويشتمل على مباحث.

المبحث الأول: التعريف بالمقامات.

المبحث الثاني: الفرق بين المقام والحال.

المبحث الثالث: أنواع المقامات: ويشتمل على خمسة مسائل.

المطلب الثاني: ذكر بعض المقامات فى الفكر الصوفى، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مقام التوبة.

المبحث الثاني: مقام الزهد.

المبحث الثالث: مقام التوكل.

المبحث الرابع: مقام الصبر.

الفصل الثاني:

الأحوال عند الصوفية. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأحوال، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالأحوال.

المبحث الثاني: أنواع الأحوال.

المطلب الثاني: ذكر بعض الأحوال فى الفكر الصوفي، ويشتمل على خمسة مباحث.

المبحث الأول: حال الإخلاص، ويشتمل على خمس مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الإخلاص.

المسألة الثانية: حكم الإخلاص، وأدلته.

المسألة الثالثة: فضل الإخلاص وثمرته.

المسألة الرابعة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال الإخلاص.

المسألة الخامسة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

المبحث الثاني: حال المحبة، ويشتمل على خمس مسائل:

المسألة الأولى: تعريف المحبة.

المسألة الثانية: حكم المحبة، وأدلته.

المسألة الثالثة: فضل المحبة وثمرتها.

المسألة الرابعة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال المحبة.

المسألة الخامسة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

المبحث الثالث: حال الخوف، ويشتمل على خمس مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الخوف.

المسألة الثانية: حكم الخوف، وأدلته.

المسألة الثالثة: فضل الخوف وثمرته.

المسألة الرابعة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال الخوف.

المسألة الخامسة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

المبحث الرابع: حال الرجاء، ويشتمل على خمس مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الرجاء.

المسألة الثانية: حكم الرجاء، وأدلته.

المسألة الثالثة: فضل الرجاء وثمرته.

المسألة الرابعة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال الرجاء.

المسألة الخامسة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

المبحث الخامس: حال المراقبة، ويشتمل على خمسة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف المراقبة.

المسألة الثانية: حكم المراقبة، وأدلتها.

المسألة الثالثة: فضل المراقبة وثمرتها.

المسألة الرابعة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال المراقبة.

المسألة الخامسة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

الفصل الرابع:

من مصادر الاستدلال عند الصوفيه: وفيه مباحث.

المبحث الأول: **الوجد،** وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الوجد:

المسألة الثانية: ما جاء عن العلماء في كون(الوجد) مصدرًا من مصادر الاستدلال عند الصوفية.

المسألة الثالثة: أقوال العلماء من أهل السنة على إبطال كون (الوجد) مصدرًا من مصادر الاستدلال.

المسألة الرابعة: ترجيح الباحث.

المبحث الثاني: **الذوق،** وهو من مصادر الاستدلال عند الصوفية، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الذوق.

المسألة الثانية: ماثبت عن العلماء على كون(الذوق) مصدرًا من مصادر الاستدلال عند الصوفية.

المسألة الثالثة: ماورد عن علماء أهل السنة فى إبطال كون الذوق مصدرًا من مصادر الاستدلال.

المسألة الرابعة: ترجيح الباحث.

المبحث الثالث: **الالهام.** وهو من مصادر الاستدلال عند الصوفية، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الالهام.

المسألة الثانية: ماثبت عن العلماء فى كون(الالهام) مصدرًا من مصادر الاستدلال عند الصوفية.

المسألة الثالثة: أقوال العلماء من أهل السنة فى بطلان الاحتجاج بالالهام كمصدر من مصادر التلقي.

المسألة الرابعة: ترجيح الباحث.

المبحث الرابع: العلم اللدني، ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف العلم اللدني.

المسألة الثانية: أقسام العلم اللدني

الخاتمة: وتشتمل على:

1- أهم النتائج التي توصلت إليها من بحث الأحوال والمقامات عند الصوفية وأهل السنة والجماعة.

2- فهرس المصادر والمراجع.

الفصل التمهيدي

تحرير المصطلحات

ويشتمل على:

المطلب الأول: التعريف بالصوفيه.

المطلب الثاني: التعريف بالسلف.

المطلب الأول: التعريف بالصوفيه. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى التصوف.

أولًا: **معنى التصوف فى اللغة.**

كلمة التصوف، مشتقه من الفعل الثلاثي (صَوَفَ) والصوف للضأن وما أشبهه.

والتصوّف في اللغة هو ارتداء الصوف، وهو من أثر الزّهد في الدنيا، وترك التنعّم.

قال الكتور أحمد مختار:" تصوَّفَ يتصوَّف، تصوُّفًا، فهو مُتصوِّف، وتصوَّف الشَّخصُ: أي لَبِس الصوفَ" [1] وجاء في المعجم الوسيط: التصوف هو، طريقة سلوكية قوامها التقشف، والتحلي بالفضائل لتزكو النفس، وتسمو الروح" [2]

وللتصوف معنى آخر لغويًا، وهو: العدول عن الشيئ والابتعاد عنه.

قال الجوهري: صاف السهم عن الهدف يَصوفُ ويَصيفُ، أي عدل عنه، ومنه قولهم: صافَ عنِّي شرُّ فلانٍ، وأَصافَ الله عني شره"[3]

ثانيا: **التصوف اصطلاحًا.**

قال الإمام جلال الدين السيوطي: " التصوفُ هُوَ الْعلم بالأصول الموروثة من تَصْحِيح الْأَعْمَال ظَاهرًا وَبَاطنا"[4]

---

1 . د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، الأولى، 1429 هـ - 2008 م)1336/1

2 . (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(دار الدعوة، ت ذ)، باب: الصاد529/1

3 الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ، دار العلم للملايين – بيروت، ط4 1407 هـ - 1987 م

4 . السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، (مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الأولى، 1424هـ - 2004 م)210/1

وقال المناوي: " التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنًا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر " [1]

وقال القاضي الأحمد نكري: " التصوف: تَجْرِيد الْقلب لله – تَعَالَى– واحتقار مَا سوى الله – تَعَالَى– " [2]

وقال الإمام التهانوي: " التصوف هو التخلّق بالأخلاق الإلهية " [3]

فالمعنى الاصطلاحي لكلمة التصوف تُعنى بالتزكية، ومحاسبة النفس، والتجرد فى المعاملة لله – تعالى –، كما سبق بيانه.

المبحث الثاني: التعريف بالمقامات.

أولا: **المقام فى اللغة:** له ثلاث معانٍ من جهة اللغة.

1– المكان.

قال أبو عبيد: " المَقام: الْمَكَان والمُقام من الْإِقَامَة" [4]

---

[1] . المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، (عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة، الأولى، 1410هـ–1990م)98/1

[2] . الأنكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، (دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الأولى، 1421هـ – 2000م)203/1

[3] . التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، (مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – 1996م)456/1

[4] . الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، غريب الحديث، تحقق: د. محمد عبد المعيد خان، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، الأولى، 1384 هـ – 1964 م)214/4

2- الموضع.

قال الخليل بن أحمد: " والمَقامُ: موضع القَدَمَيْنِ، والمُقامُ والمُقامةُ: الموضع الذي تقيم فيه" (1)

3- الموقف.

وقال الأزهري: " والمَقام: مَوضِع القَدمين، وأقمتُ بِالْمَكَانِ مُقاماً وَإِقَامَة، والمَقام والمُقامة: الْموضع الَّذِي تقيم بِهِ" (2)، وقال ابن دريد: " وَرجل ثَبت الْمقَام وثبيت الْمقَام إِذا كَانَ شجاعا لَا يبرح موقفه" (3)

وضبط الكلمة بالفتح (مَقَامات)، أو بالضم (مُقَامات)، فكلاهما صحيح، وقد ورد كلا التشكيلين فى معجم الصحاح.

قال الجوهري: " وأما المَقامُ والمُقامُ فقد يكون كلٌّ واحدٍ منهما بمعنى الإقامةِ وقد يكون بمعنى موضع القيام، لأنك إذا جعلته من (قام- يقوم) فمفتوح، وإن جعلته من (أقام - يقيم) فمضموم، لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم، لانه مشبه ببنات الاربعة، نحو دحرج، وهذا مدحرجٌ، وقوله تعالى: (لا مَقامَ لَكُم) أي لا موضع لكم، وقرئ (لا مُقامَ لكم) بالضم أي لا إقامة لكم، و (حَسُنت مُسْتَقَرًّا ومُقاما) ، أي موضعاً" (4)

ثانيًا: **المقام فى الاصطلاح:**

هو الدرجة التى يبلغها المتعبد عند ربه – تعالى – بالرياضة والمجاهدة.

---

[1] . الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، ت ذ)232/5

[2] . الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى، 2001م)267/9

[3] . الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقق: رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين – بيروت، الأولى، 1987م)252/1

[4] . الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين – بيروت، الرابعة 1407 هـ - 1987 م)2017/5

قال الجرجاني: " المقامُ في اصطلاح أهل الحقيقة: عبارة عمَّا يُتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة تكلف، فمقام كل واحدٍ، موضع إقامته عند ذلك" [1]

وقال المناوي: " المقام ما يوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق فيه بضرب تطلب، فمقام كل أحد محل إقامته عند ذلك" [2]

وقال القاضي الأحمد نكري: " وَالْمقَام فِي اصْطِلَاح أَصْحَاب الْحَقَائِق مَا يُوصل إِلَيْهِ بِنَوْع تصرف ويتحقق بِضَرْب تطلب، ومقاساة تكلّف، وَقد مر نبذ من تَفْصِيله فِي الْحَال" [3]

المبحث الثالث: التعريف بالأحوال.

أولا: **الأحوال فى اللغة:**

الأحوال، جمع حال، ويقصد به الهيئة التى عليها الإنسان من صفاء أو جفاء.

قال التهانوي: " الحال معنى يتّصل بالقلب وهو وارد من الله – تعالى، فإنّ المحبة والشوق والقبض والبسط هي من جملة الأحوال" [4]

وقال الجرجاني: " الحال في اللغة، نهاية الماضي وبداية المستقبل"[5]

ثانيًا: **الأحوال اصطلاحًا:**

قال المناوي: " والحال عند أهل الحق: معنى يرد على القلب بغير تصنع، ولا اجتلاب، ولا اكتساب، من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيئة، وتزول بظهور صفات النفس " [6]

---

[1] . الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، كتاب التعريفات، تحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الأولى 1403هـ – 1983م)227/1

[2] . ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي 313/1

[3] . ينظر: دستور العلماء، لأحمد نكري216/3

[4] . ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي612/1

[5] . ينظر: التعريفات، للجرجاني81/1

[6] . ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي134/1

قال القاضي الأحمد نكري: " وَعند أَرْبَاب السلوك: الْحَال هو مَا يرد على قلب السالك من موهبة الْوَهَّاب ثمَّ يترقى عَنهُ. أَو يتنزل، كَمَا قيل الْحَال مَا يرد على الْقلب من طرب أَو حزن أَو بسط أَو قبض، وَإِنَّمَا سمي حَالًا لتحوله ويقابله الْمقَام. وَقيل الْحَال عَطاء الله المتعال ذِي الْجلَال الَّذِي يرد على قلب السالك بِدُونِ الْكسْب وَلذَا قَالُوا إِن الْأَحْوَال مواهب والمقامات مكاسب وَالْأَحْوَال تَأتي من عين الْجُود، والمقامات تحصل ببذل المجهود" (1)

وقال الجرجاني: " والحال عند أهل الحق: معنى يرد على القلب من غير تصنع، ولا اجتلاب، ولا اكتساب، من طرب، أو حزن، أو قبض، أو بسط، أو هيبة، ويزول بظهور صفات النفس، سواء يعقبه المثل أو لا" (2)

قال التهانوي: " الحال معنى يتّصل بالقلب وهو وارد من الله تعالى. وقد يمكن تحصيله بالتكلّف ولكنه يذهب" (3)

قال ابن القيم: " والحال ما كان عارضاً لا يدوم" (4)

وقال أيضًا: " وَالْحَالُ هُوَ تَكَيُّفُ الْقَلْبِ وَانْصِبَاغُهُ بِحُكْمِ الْوَارِدَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، وهو ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، وَلَا يَصْفُو حَالٌ إِلَّا بِصَفَاءِ الْعِلْمِ الْمُثْمِرِ لَهُ. وَعَلَى حَسَبِ شَوْبِ الْعِلْمِ يَكُونُ شَوْبُ الْحَالِ. وَإِذَا صَفَا الْحَالُ: شَاهَدَ الْعَبْدُ – بِصَفَائِهِ – آثَارَ الْحَقَائِقِ. وَهِيَ الشَّوَاهِدُ فِيهِ، وَفِي غَيْرِهِ، وَعَلَيْهِ، وَعَلَى غَيْرِهِ. وَوَجَدَ حَلَاوَةَ الْمُنَاجَاةِ. وَإِذَا تَمَكَّنَ فِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ: نَسِيَ الْكَوْنَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمُكَوِّنَاتِ" (5)

---

1. انظر: دستور العلماء، الأحمد نكري4/2
2. انظر: التعريفات، للجرجاني81/1
3. انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي612/1
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، (دار السلفية، القاهرة، مصر، الثانية، 1394هـ)27/1
5. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة، 1416 هـ – 1996م)141/3

المبحث الرابع: الفرق بين المقامات والأحوال.

الْحَال وَالْمقَام مُتحد الْمَفْهُوم، والتغاير بَينهمَا اعتباري. قال التهانوي:" قال المحقّق التفتازاني الحال والمقام متقاربان بالمفهوم والتغاير بينهما بالاعتبار، فإنّ الأمر الداعي مقام باعتبار توهّم كونه محلًا لورود الكلام فيه على خصوصية، وحال باعتبار توهّم كونه زمانًا له، وأيضًا: المقام يعتبر إضافته في أكثر الأحوال إلى المقتضى بالفتح إضافة لامية، فيقال مقام التأكيد والإطلاق والحذف والإثبات، والحال إلى المقتضي بالكسر إضافة بيانية، فيقال حال الإنكار وحال خلوّ الذهن وغير ذلك" [1]

وقال الشريف الجرجاني: فى مقام التفريق بين الأحوال والمقامات: " الأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود" [2]

وقال التهانوي: " قال في شرح القصيدة الفارضية: كلّ المقامات والأحوال بالنسبة إلى التوحيد كالطّرُق والأسباب الموصلة إليه، وهو المقصد الأقصى، والمطلب الأعلى، وليس وراءه للعباد قربة، وحقيقته جلّت عن أن يحيط بها فهم، أو يحوم حولها وهم، وتكلّم كل طائفة فيه بعضهم بلسان العلم والعبارة، والبعض بلسان الذوق والإشارة، وما قدّروه حق قدره وما زاد بيانهم غير ستره " [3]

وبهذه النقولات الثلاث فى مسألة التفرقة بين الأحوال والمقامات يتضح لنا الأتي:

1- أنه بالنسبة للفرق بين الحال والمقام فهو فرق اعتباري، بمعنى: ورود الكلام فى المقام تعلقه بخصوصية العبد، أما الحال فورود الكلام فيه يكون تعلقه بالزمن.
2- الكلام على الحال، والمقام بالنسبة للتوحيد، فهو لايمثل ثمَّة فارق بين المصطلحين، إذ كلا المعنيين يوصلان لمطلوب أسمى، وغاية أعظم وهى توحيد الله – تعالى – ومعرفته.

---

1. ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي617/1
2. ينظر: التعريفات ، للشريف الجرجاني81/1
3. ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي528/1

المطلب الثاني: التعريف بالسلف

وفيه مبحث واحد: تعريف السلف.

أولًا: **السلف فى اللغة:**

السلف تعنى القرض، والمتقدم، والسابق فى الوقت والزمن.

قال الجوهري: " [سلف] سَلَفْتُ الأرضَ أَسْلُفُها سَلْفاً، إذا سويتها بالمسلفة، وهى شئ تُسَوَّى به الأرض. وفي حديث عبيد بن عمير: " أرضُ الجنةِ مسلوفةٌ " قال الأصمعي: هي المستوية أو المُسَوَّاة وسَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً، مثال طلب يطلب طلبا، أي مضى. والقومُ السُلاَّفُ: المتقدِّمون. وسَلَفُ الرجل: آباؤه المتقدّمون، والجمع أَسْلافٌ وسُلاَّفٌ" [1]

وقال الأزهري: " والسلف القرض، وأصله من قولهم سلفت القوم أي تقدمتهم ومنه قيل للقرن إذا تقدموا بموت ويخلفهم اولادهم سلف وهو جمع سالف كما يقال خادم وخدم وحارس وحرس" [2]

وقال الخليل ابن أحمد: " سلف: أسلفته مالاً: أقرضته، والسلف من القرض. والسَّلَفُ: كلُّ شيءٍ قَدَّمْتَه فهو سَلَفٌ، والفعل سَلَفَ يسلُفُ سُلُوفاً. والقومُ إذا أرادوا أن يَنْفِروا فمن تقَدَّم من نَفيرهم فسَبَقَ فهو سَلَفٌ لهم"[3]

وقال الفارابي: " وسَلَفُ الرَّجُلِ: آباؤُه الْمُتَقَدِّمون" [4]

قال تعالى:﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٧٥ فله ماسلف: أي ما تقدم، ومضى.

---

1 . انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي1376/4

2 . انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، الهروي102/1

3 . ينظر: العين، للفراهيدي258/7

4 . الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: 350هـ)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، (مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1424 هـ - 2003 م)220/1

كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ النساء: ٢٢، أى مَا قد مضى قبل التَّحْرِيم[1]

ثانيًا: **السلف فى الاصطلاح:**

قال شيخ الإسلام: " السَّلَفُ – كَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ"[2]

قال أبو الحسن الأشعري: " والمقصود من كلمة السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف كالأئمة الأربعة، والسفيانين، والليث بن سعد، وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم وسائر أصحاب السنن دون رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج، والروافض، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، وسائر الفرق الضالة" [3]

ونلاحظ من تعريف الإمام الأشعري– رحمه الله – أنه لم يحصر السلف فى القرون الثلاثة لقوله" ما كان عليه الصحابة وأعيان التابعين لهم وأتباعهم" ، فيشمل مصطلح السلف على تعريف الإمام الأشعري، كل من التزم قواعد ونهج السلف فى العقائد، وغيرها من أمور الدين إلى يومنا هذا.

---

1 . ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ)، تفسير القرآن العزيز، تحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، (الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الأولى، 1423هـ – 2002م)357/1

2 . شيخ الإسلام، ابن تيمية، مجموع الفتاوى52/17

3 . الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، (عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1413هـ)76/1

وكذلك تبنى هذا القول الإمام الذهبي، حيث قال: " والمقصود بالسلف هم الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم" [1]

فالكلام فى تحديد معنى السلف، فى كلام الإمام الذهبي، عام يشمل كل من سار على نهج السلف، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم.

أما الإمام بدر الدين ابن جماعة فقال: " السّلف هم الْعلمَاء الْعُدُول الوارثون عَن رَسُول الله – صل الله عَلَيْهِ وَسلم– الْحَقَائِق والمعارف والعقائد وَيُمكن أَن يُقَال هم السَّادة الأخيار إِلَى نِهَايَة الْمِائَة الثَّالِثَة من الْهِجْرَة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة الْمُبَارَكَة" [2]

فقد حصر الإمام ابن جماعة مفهوم السلف، فى القرون الثلاثة المفضلة فقط، لقوله" إلى نهاية المائة الثالثة من الهجرة".

قال الشيخ ابن العثيمين: " إذا أطلق لفظ السلف فالمراد به القرون الثلاثة المفضلة: الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، هؤلاء هم السلف الصالح، ومن كان بعدهم وسار على منهاجهم فإنه مثلهم على طريقة السلف، وإن كان متأخراً عنهم في الزمن"[3]

وبهذا يتضح لنا، أن العلماء مختلفين فى تحديد الحقبة الزمنية التى يتوقف عندها التسمي أو التلقب بلقب السلف، كما سبق بيانه.

---

[1] . الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، (عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الثانية، 1424هـ/2003م)187/1

[2] . ابن جماعة، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733هـ)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، وهبي سليمان غاوجي الألباني، (دار السلام للطباعة والنشر – مصر، الأولى، 1410هـ – 1990م)40/1

[3] . ابن العثيمين، محمد ابن عثيمين، الموقع الرسمي https://binothaimeen.net/content/8970

الفصل الأول: الصوفيه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأة التصوف، ومراحل تطوره، ويشتمل على مباحث:

المبحث الأول: بداية ظهور التصوف.

من خلال استقراء كتب العلماء، والتى تُعنى بالحديث عن علم التصوف يتبين أن العلماء مختلفون فى هذه المسألة، وهى بداية ظهور التصوف.

فيرى الدكتور الذهبي أن التصوف نشأته منذ ظهور الإسلام، لكنه لم يظهر كعلم مستقل إلا ببداية القرن الثاني الهجري. قال د. محمد الذهبي: " والتصوف بهذا المعنى موجود منذ الصدر الأول للإسلام، فكثير من الصحابة كانوا معرضين عن الدنيا ومتاعها، آخذين أنفسهم بالزهد والتقشف، مبالغين في العبادة. فكان منهم من يقوم الليل ويصوم النهار، ومنهم من يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه، وتهذيبا لروحه، غير أنهم لم يُعرفوا في زمنهم باسم الصوفية، وإنما اشتهر بهذا اللقب فيها بعد من عرفوا بالزهد والتفاني في طاعة الله، وكان ظهور هذا اللقب في القرن الثاني الهجري"[1]

بينما يرى الباحث أبو بكر زكريا أن ظهور التصوف كان فى القرن الثانى الهجرى، ولم يكن موجودا من قبل. قال أبو بكر زكريا: " أول بوادر ظهور التصوف، وبروزه ظاهرة معروفة بهذا الاسم ولها تعاليم خاصة بها ومدرسة وتلاميذ تربيهم خاصة تختلف مع التربية العامة التي يسلكها أهل السنة والجماعة في تربية الأجيال المسلمة، كان في القرن الثاني الهجري، وذلك

---

[1] . الذهبي، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الثانية، ت د)5/1

نتيجة توسع الفتوحات الإسلامية واختلاط الشعوب المتنوعة المختلفة في عقائدها وأجناسها ولغاتها" [1]

بينما يرى آخرون أن نشأة التصوف كان فى نهاية القرن الثالث الهجرى وبداية القرن الرابع، أى بعد القرون الثلاثة المفضلة والتى قال النبي(صلى الله عليه وسلم) فيهم: " خير النَّاس قَرْني، ثمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ، ثمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ، ثمَّ يَجِيء قومٌ تسبق شَهَادَة أحدهم يَمِينه، وَيَمِينه شَهَادَته "[2]، جاء فى مجلة البحوث: " نشأة التصوف وتاريخه: أول ما نقل التكلم بلفظ التصوف في أواخر القرن الثالث الهجري، وأوائل القرن الرابع الهجري، تكلم به غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد وأبي سليمان الداراني وغيرهما كسفيان الثوري والحسن البصري"[3]

المبحث الثاني: مراحل تطور التصوف، والتدوين فيه كعلم مستقل.

وبالحديث عن أطوار ظهور التصوف، يمكن الجمع بين كل ما قيل عن نشأة هذا العلم. فقد بدأ التصوف مع بداية الإسلام كسلوك دون تقييد لمصطلحاته، كما هو حال باقى الفنون والعلوم، فكان أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يجدُّون في العمل الصالح ما استطاعوا، ويزهدون في الدنيا زهْد من لا يتناول منها إلا حلالاً طيباً، وزهْدَ من لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وزهْدَ من يعاف أن تكون يده السفلى، ويد غيره العليا، وهم في هذا السبيل يتسابقون ويتفاضلون، وهذا هو مفهوم التصوف الحقيقي والذى سطر له العلماء بعد ذلك.

قال الشيخ محمد الخضر حسين: " رحم الله أصحاب رسوله الكريم، لم يعدوا في كمال معرفة الله، أو في كمال خشيته أن يسمع الرجل القرآن، فيقع مغشياً عليه، إنهم كانوا على بصائر

---

[1] . أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث، (رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز من شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الأولى، 1421 هـ – 2000 م)858/1

[2] . الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، المحقق: د. علي حسين البواب، (دار ابن حزم – لبنان/ بيروت، الثانية، 1423هـ – 2002م)224/1

[3] . الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (عدد الأجزاء: 95 جزء)147/41

مشرقة، وأحلام راجحة، يعرفون كيف يتقربون إلى الله زلفى، وكيف يتدبرون آياته بسكينة وحسن سمت، تمتلئ له أعين الناظرين مهابة وإجلالاً."[1]

ثم جاء بعد ذلك عهد التابعين وفيه أقبلت طائفة من فضلائهم يتحدثون في أحوال النفس؛ من حيث صفائها، وصلتها بالخالق، وزهدها في زخرف هذه الحياة، واشتدت عنايتهم بالحديث في هذه الآداب، وكانوا يأخذون بها أنفسهم، ويرشدون إليها غيرهم، ويلقبون لذلك العهد: الزهاد، والوعاظ. ومن أشهر هذه الطائفة: الحسن البصري.

قال الشيخ الخضر: " قال أبو سعيد بن الأعرابى: لم يبلغنا أن أحداً ممن تكلم في هذه المذاهب (يعني: أحوال النفس)، ودعا إليها، وزاد في بيانها وترتيبها وصفات أهلها، مثل الحسن بن يسار البصري."[2]

وقال أيضًا: " وتخَّرج في مجالس الحسن البصري وغيره طبقة عالمة زاكية، منهم: مالك بن دينار، وحبيب العجمي، وعبد الواحد بن زيد، وبقي هؤلاء الذين يلقبون الزهاد والوعاظ لا يمتازون عن جمهور الناس إلا بكثرة ما يعملون من صالح، وبشدة ما يحملون من خشية الله، والعزة به، والاعتماد عليه، وبانصراف هممهم عن التعلق بما في هذه الحياة من شهوات أو حطام. وفي خلال النصف الأول من القرن الثاني صار الزهاد والوعاظ يسمّون بالصوفية، وأول من دعي بهذا الاسم: أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة 150 هـ" [3]

ثم صار الكلام عن التصوف بأن له أصول، ورجال يتحدثون فيه، مبينين مصطلحاته، وشارحين لها، كما هو الحال فى باقى الفنون والعلوم.

قال الشيخ الخضر: " وجعل الصوفية يتحدثون عمَّا يرد عليهم من الخواطر، وما يجدونه من الأذواق، ويعبرون عن هذه الخواطر والأذواق بكلمات إما مألوفة، وإما غير مألوفة، حتى أصبح

---

[1] . الإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: 1377 هـ)، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، (دار النوادر، سوريا، الأولى، 1431 هـ - 2010 م)(2/4)/ 86

[2] . ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة، للإمام محمد الخضر حسين

[3] . ينظر: الإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: 1377 هـ)، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين.

التصوف في القرن الثالث مذهباً ذا قواعد واصطلاحات، وزاد بما دخله من الاصطلاحات على المقدار الذي يستطيع أن يفهمه المفسّرون والمحدّثون من موارد الكتاب والسنة" [(1)]

وجاء فى موسوعة الفرق: " ثم بعد مضي عصر الصحابة والتابعين وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (241.164هـ) وأبو سليمان الداراني المتوفى سنة 215هـ وقيل إن أول من بنى دويرة للصوفية هو بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد المتوفى بعد الخمسين ومائة للهجرة. وهو من أصحاب الحسن البصري وكان ذلك في البصرة" [(2)]

ثم طال الزمان واستطال، فدخل فى هذا العلم ما دخل في غيره، من الغلو والشطط والتأول، ولحق بكثير من أتباعه من الغلو مانراه فى عصرنا الحالى ممن ينتسب زورًا وبهتانًا لهذا العلم الشريف، بعدما اتخذ لنفسه مسلكًا فى التعبد والتنسك مغايرًا لتعاليم الإسلام، ولسنة النبي العدنان– صلى الله عليه وسلم-. قال د. غالب العواجي: " الصوفية قد تأثرت كثيراً بالآراء والأفكار المخالفة للإسلام، حيث تظهر فيها تلك الأفكار واضحة جلية في جوانب كثيرة في الاعتقاد والسلوك، خصوصاً الأفكار الهندية والفارسية واليونانية والمسيحية، كما سيتضح ذلك من دراستنا لهذه الطائفة، بعد أن كان التصوف في بدء أمره عند بعض المسلمين عبارة عن الزهد عن الدنيا والرغبة في الآخرة، وقتل هوى النفس والاتجاه إلى الله، ولبس الصوف لتعويد النفس على التحمل والمكابدة، إلي أن أخذ يتطور في الانحدار والبعد عن حقيقة الإسلام في كثير من الأمور التي طرقها التصوف؛ فأصبح مذموماً نفر عنه أهل الحق لخلط المتصوفة بين الزهد والتصوف المغالي." [(3)]

وقال د. عبد الرحمن صالح: " كثرت في هذا العصر مظاهر الشرك، كما انتشر التصوف المذموم، وبين الشرك والتصوف المنحرف علاقة وطيدة، إذ غالبا ما يكون أهم مظاهر التصوف

---

[1] . ينظر: الإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: 1377 هـ)، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين.

[2] . مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع الدرر السنية على الإنترنت، ت د)453/6

[3] . د. غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الرابعة، 1422 هـ – 2001 م)889/3

الشرك وذلك بالغلو في المشايخ والأولياء- الأحياء منهم والأموات- وقد كان أبرز مظاهر الشرك بناء المشاهد على القبور، وبناء المساجد عليها؛ بحيث تصبح هذه القبور أماكن للعبادة والتقرب إلى الله بشتى أنواع القرب فيأتيها الناس مستشفعين بهؤلاء الأموات، طالبين قضاء الحاجات وكشف الكربات" [1]

وبهذا العرض لمراحل تطور التصوف، يتضح لنا أن التصوف هو علم من العلوم الإسلامية له قواعده ومصطلحاته، وفن من فنون التزكية له أساسياته، وقد اعترى هذا العلم من الغلو والدخن ما اعترى غيره، فلابد من باحثين وعلماء يذودون عن هذا العلم، هذا الغلو والشطط، ويعودون بتعاليمه للمنبع الصافى، والمشرب الرائق، والمعين الذي لاينضب، معين الوحيين(القرآن والسنة)، كمبدأ عهده وأول مهده.

وأرجوا من الله – تعالى- أن يكون هذا البحث، مساهمة متميزة فى هذا الهدف السامي، والغرض النبيل، خدمة وصيانة للتراث الإسلامي.

المبحث الثالث: نشأة الطرق الصوفية وتنوعها.

إن أول من ألّف فى التصوف كعلم خاص هو أبو سعيد محمد أحمد المهيمي المتوفى سنة 430هـ ، فقد أقام في بلدته نظامًا للدراويش، وبنى خانًا بجوار منزله للصوفية، وجعل نظام تسلسل الطريق عن طريق الوراثة، وهناك من يقول بأن أول من وضع فى هذا العلم وألف فيه هو الإمام القشيري، لكن عند التحقيق نجد أن أبا سعيد المهيمي ولد قبل القشيري([2]) بحوالى 21عامًا، فكان مولده فى سنة357هـ ، بينما القشيري ولدي فى سنة376هـ .

---

[1] . عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، (مكتبة الرشد – الرياض، الأولى، 1415 هـ / 1995 م)140/1

[2] . القُشَيْري(– 514 هـ = – 1120 م)، عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير. علت له شهرة كأبيه. زار بغداد في طريقه إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان (إطفاء للفتنة ببغداد) فذهب إليه ولقي منه إكراما. وعاد إلى نيسابور، فلازم الوعظ والتدريس إلى أن فلج. وتوفي بها. كان ذكيا حاضر الخاطر، فصيحا، جريئا، يحفظ كثيرا من الشعر والحكايات. له (المقامات والآداب) تصوف ووعظ، ينظر: الأعلام : للزركلى346/3

قال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: " وأبو سعيد المهيمي من أوائل من كتب في طريقة التربية الصوفية وهو سابق على عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة القشيرية والتي كتب فيها صاحبها أيضًا طائفة كبيرة من طرق التربية الصوفية والقشيري توفي سنة 465هـ . وكان مولده سنة 376هـ . وأما مولد أبي سعيد فقد كان في سنة 357هـ . فهو أكبر من القشيري وأقدم." [1]

ثم انتشرت فى القرنين الخامس والسادس الهجري، الطرق الصوفية وتنوعت، وصار لكل طريق منها مدارسها الخاصة بها، والتى تحيي أثار شيوخها، وتعاليمهم، وتنقل تلك التعاليم لمريديهم والأتباع والطلاب.

قال الشيخ عبدالرحمن: " وقد انتشر بعد ذلك في القرنين الخامس والسادس الهجريين نظام الطرق الصوفية وانتقلت من إيران إلى المشرق العربي فظهرت الرفاعية والقادرية في العراق، والأحمدية والشاذلية في مصر، ثم ظهرت بعد ذلك الدسوقية في مصر أيضًا، ثم تتابع ظهور الطرق الجديدة وكذلك الطرق المتفرعة من طرق قديمة حتى أصبحت الطرق تعد بالآلاف. وغالبًا ما تسمى الطريقة باسم مؤسسها" [2]

ويقول السيد محمود أبو الغيض الحسيني: "وهذه الطرق تنسب كل واحدة لولي من الأولياء رضي الله عنهم وقد يرثها حفيد وسيط لولي من أولئك الأولياء فيكرمه الله سبحانه وتعالى بكرامة آبائه وأجداده الصالحين فإن من سار على دربهم أكرمه الله مثل إكرامهم ومن فرط أو قصر أكرمه الله لأجلهم" [3]

ولا تزال الطرق الصوفية متوارثة، ولها مدارس، ومناهج، ومريدين، وطلاب، يتبعون التعاليم الواردة فى كل طريق من هذه الطرق إلى يومنا هذا، وفى شتى بقاع الأرض.

---

[1] . عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، (مكتبة ابن تيمية، الكويت، الثالثة، 1406 هـ - 1986 م)349/1

[2] . نفس المصدر

[3] . مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (عدد الأجزاء: 95 جزءا، ت د)199/41

قال الشيخ الخضر حسين: " نحن نعرف أن في زعماء هذه الطرق رجال علم وفضل، ولا ننكر ما يقوم به هؤلاء الفضلاء من إرشاد وتعليم، ومعرفتنا لهؤلاء الرجال المستقيمين، لا تمنعنا من أن نلقي على الطرق الصوفية نظرة نبتغي بها أن نكون على بينة من شؤوننا الاجتماعية، وأن تكون هذه الشؤون في نظام وصفاء، ولا سيما شأن يلبس على أنه مظهر من مظاهر الدين الحنيف، فالمسألة خطرة، وتبعة السكوت عنها غير هينة. والحقيقة أنه لا يزال في بعض هذه الطرق بقية من المحدثات التي حشرت في الإسلام على جهالة، ولا يزال كثير من أصحابها يتناقلون عبارات مدسوسة في التصوف على سوء نية، ولبعض هذه الطرق مظاهر تزدريها العيون، وتمجها الأذواق، وقد يحسبها من لا يعرف الإسلام أن لها صلة بالعبادات المشروعة في الإسلام، بل في رؤساء هذه الطرق من يتخذه الملاحدة دريئة يرمون من ورائها سهاماً مسمومة، لا غرض لها إلا أن تقع في مقاتل الدين الحنيف، وفي رؤساء الطرق من لا يزال يتقرب إلى الظالمين حتى يكون لسانهم الذي ينطق، وسمعهم الذي يسمع، وبصرهم الذي يرى، فنحن نريد من علماء الطرق الصوفية أن ينظروا في هذه الطرق نظر من يعمل ابتغاء مرضاة الله، وينقدوا كل ما تحويه من تقاليد وآداب وأوراد، حتى إذا رأوا فيها ما لم يأذن به الله، طرحوه ناحية، وكان لهم في سيرة السلف من الصحابة والتابعين أسوة حسنة" [1]

---

[1] . ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة، للإمام محمد الخضر حسين(4/2)/ 100

المطلب الثاني: أشهر الطرق الصوفية، ويشتمل على ثلاث مباحث.

المبحث الأول: أشهر الطرق الصوفية.

1- الطريقة القادرية: لصاحبها ومؤسسها الشيخ عبدالقادر الجيلاني[1]

الظاهر أن الطريقة القادرية التي أنشأها عبد القادر الجيلاني، هي أول طريقة باقية لها أصل تاريخى معلوم. ثم ظهرت طرق أخرى بكثرة تحير العقول[2]، ولم تقم الطرق التي لها هذه الصفات إلّا في القرن السادس الهجري، أي في الحقبة المضطربة التي تمزقت فيها أوصال الدولة السلجوقية. وقد ورد مثل ذلك فى موسوعة المفاهيم الإسلامية: " الطريقة القادرية: ومؤسسها الشيخ عبدالقادر الجيلانى، وقد انتشرت طريقته فى العراق واليمن والصومال والهند وتركيا ومصر والمغرب." [3]، وجاء فى وصف الطريقة القادرية من جهة الانتشار والعدد، فى موجز دائرة المعارف الإسلامية: " واليوم فإن الطريقة القادرية هى أقوى وأهم الطرق الصوفية بين الأكراد ويتبع أفرادها الشيخ عبد القادر الجيلانى، الذى توفى فى بغداد وكان هو نفسه كرديًا، ويطلق على أتباع الطريقة القادرية فى جنوب كردستان الدراويش " [4]

وفى مجلة أم القرى: " أن الطريقة القادرية الجيلانية ظهرت بعد ذلك بقرن من الزمان حوالي سنة 1550هـ، وقيل أيضاً أن أول خليفة لها في السودان هو إدريس أبن أرباب وهو من المحس. كما

---

[1]. عَبْد القَادِر الجِيلاني (471 - 561 هـ = 1078 - 1166 م)، عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء طبرستان)، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها. له كتب، منها " الغنية لطالب طريق الحق - ط " و " الفتح الرباني - ط " و " فتوح الغيب - ط " و " بالفيوضات الربانية - ط ". ينظر : الأعلام ، للزركلي46/4

[2]. تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، موجز دائرة المعارف الإسلامية، (مركز الشارقة للإبداع الفكري، الأولى، 1418 هـ - 1998 م)4892/16

[3]. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر، (الكتاب مرقم آلى)420/1

[4]. ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية27/ 8579

نالت الطريقة الشاذلية أيضاً نفوذاً كبيراً أيام الفونج علي يد خوجلي ابن عبد الرحمن (المتوفى في 1743هـ) وهو أيضاً من المحس وكان قادريًا ثم انضم للشاذلية لما زار مكة." [1]

2- الطريقة الرفاعية:

تنسب الطريقة الرفاعية إلى أحمد الرفاعي بن سلطان علي[2]، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب. ولد أحمد الرفاعي في قرية (حسن) بالقرب من أم عبيدة بالعراق 512هـ. وتوفي سنة 578هـ. ودفن في قرية أم عبيدة.

وللطريقة الرفاعية مشاعر خاصة كشأن كل الطرق الصوفية، ومن أهم ما يميز الطريقة الرفاعية هو التتلمذ لكل شيخ.

قال الشعراني: نقلًا عن الشيخ الرفاعي قوله: " من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له، فإن مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله. . ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة في الذنب، فإن الضربة الأولى تقع في الرأس "[3]

3- الطريقة التجانية:

تنسب الطريقة التجانية إلى أحمد بن محمد بن المختار التجاني[4] المولود سنة 1150هـ 1737م ونسبته إلى بلدة تسمى (بني توجين) قرية من قرى البربر في المغرب.

---

[1] . مجموعة من المؤلفين، مجلة جامعة أم القرى، (موقع المجلة على الإنترنت، مرقم آلي)33/9

[2] . الرِّفَاعي (512 - 578 هـ = 1118 - 1182 م)، أحمد بن علي بن يحيى الرفاعيّ الحسيني، أبو العباس: الإمام الزاهد، مؤسس الطريقة الرفاعية. ولد في قرية حسن (من أعمال واسط - بالعراق) وتفقه وتأدب في واسط، وتصوف فانضم إليه خلق كثير من الفقراء كان لهم به اعتقاد كبير. وكان يسكن قرية أم عبيدة بالبطائح (بين واسط والبصرة) وتوفي بها. وقبره الى الآن محط الرحال لسالكي طريقته. وقد صنف كثيرون كتبا خاصة به وبطريقته وأتباعه، وفي كتاب (عجائب واسط) لابن المهذب أن عدد خلفاء الرفاعيّ وخلفائهم بلغ مئة وثمانين ألفا في حال حياته! وجمع بعض كلامه في رسالة سميت (رحيق الكوثر - ط)،مات ولم يخلف عقبا أما العقب فلأخيه . ينظر الأعلام ، للزركلي173/1

[3] . للإمام الشعراني، الطبقات الكبرى، (دار الكتب العليمة، بيروت)141/1

[4] . التِّجَاني (1150 - 1230 هـ = 1737 - 1815 م)، أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشَّرِيف التجاني، أبو العباس: شيخ (الطائفة التجانية) بالمغرب. كان فقيها مالكيا عالما بالأصول والفروع، ملما بالأدب. تصوف ووعظ وأقام مدة بفاس وتلمسان، وحج سنة 1186 هـ، فمر بتونس، وعاد إلى فاس. ثم رحل إلى (توات) وأخرج منها، فاستقر بفاس إلى أن توفي. ولبعض أصحابه كتب في سيرته منها (جواهر المعاني) و (النفحة القدسية في السيرة الأحمدية التجانية - ط) . وله (ورد - خ) في 10 ورقات، في خزانة الرباط (د 1488). ينظر الأعلام ،للزركلي245/1

قال الشيخ عبدالرحمن: " وينسب التجاني نفسه إلى الرسول . صلى الله عليه وسلم .، سار أولًا في الطريقة (الخلوتية)، ثم أسس طريقة لنفسه سماها باسمه بعد أن استقر في مدينة فاس بالمغرب وبنى فيها زاوية لمريديه، جمع له تلميذ من تلاميذه يسمى علي حرازم كتابًا سماه (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني) . . والكتاب كله في فضل سيده وكراماته وأخلاقه وشمائله وأذكاره وأحواله وطريقته، وإشاراته القرآنية وعلومه اللدنية."[1]

وقال إحسان ظهير: " وللتيجانية أوراد ووظائف مثل الطرق الصوفية الأخرى وهم يبالغون ويغلون في بيان فضائلها وثوابها مبالغة قلّما يبلغ أحد مبلغهم في ذلك ، ومن أورادهم " صلاة الفاتح لما أغلق "[2]، ويقصدون بها : الصلاة على النبي- صل الله عليه وسلم- بصيغة معينة فيها" وهو الفاتح لما أغلق. أى : النبي – صل الله عليه وسلم-.

4- الطريقة السنوسية.

ظهرت الحركة السنوسيّة كطريقة صوفيّة تهدف إلى الإصلاح في الوقت الذي أصيب فيه كيان دولة الخلافة في أواخر العهد العثماني بالضعف والجمود واستبداد السلاطين فتفشى الجهل وكثرت الصراعات وانتشرت الإنحرافات في كافة مناطق الحكم العثماني، فاهتمت السنوسيّة بالتعليم اهتماماً كبيراً وجعلته من أول أولوياتها ، فبنت الزّوايَا على هيئة قلاع علمية تخرج دفعات من حفظة القرآن والمتفقهين في الدين، ومن الدارسين لسائر العلوم الأخرى بما فيها الحرف والمهارات. وسعت إلى ترسيخ قيم الإسلام في النفوس، ووَّطأت قيم التعاون والتآخي والمحبة بين الناس، وفتحت زّوايَا لتعليم كافة أنواع العلوم والمهارات التي تفيد النّاس في حياتهم، ونشرت دين الإسلام في الكثير من بقاع المعمورة[3]، وقد تأسست الحركة السنوسيّة على يد الإمام المؤسس محَمّد بن علي السنوسي، وتتميز السنوسية عن غيرها من الطرق الأخرى، أنها لم تمنع اتباعها من الانضمام إلى أية طريقة أخرى، فيمكن أن يبقى تيجانياً أو رحمانياً ومع ذلك يكون سنوسياً أراد ذلك. وقد قامت الحركة السنوسية ببناء قاعدة شعبية لها في إقليم برقة على يد الشيخ محمد بن علي، الذي جعل من واحة الجغبوب قاعدة للزاوية التي كان لها دوراً هاماً في انتشار وتوسع الحركة . وأهم ما قامت به السنوسية عندئذ هو إعطائها مفهوماً مختلفاً لدور الطريقة الصوفية، فلم يعد دور الطريقة هو العزلة والابتعاد عن الأحداث بل التربية والتعليم والتكوين الروحي والعسكري وتنقية الدين الإسلامي من البدع ، وهكذا تمكنت الحركة من التوسع

---

[1] . ينظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن بن عبد الخالق 351/1

[2] . إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: 1407هـ)، دراسات في التصوف، (دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، الأولى، 1426 هـ - 2005 م)284/1

[3] . ينظر: تطور الحركة السنوسية ومبادئها في ليبيا، رسالة قسم التاريخ والحضارة أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا.

والانتشار ومجابهة الاستعمار والعقبات[1]، ويعرف مؤسس الطريقة السنوسية بمحمد بن علي بن السنوس، أبو عبد الله، السنوسي الخط أبي الحسني الإدريسي: زعيم الطريقة السنوسية الأول، ومؤسسها. ولد في مستغانم (من أعمال الجزائر) وتعلم بفاس وتصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي. وجال في الصحراء إلى الجنوب من الجزائر يعظ الناس، ثم زار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكة، وفي هذه تصوف. وبنى زاوية في جبل أبي قبيس. ثم رحل إلى برقة وأقام في الجبل الأخضر فبنى (الزاوية البيضاء) وكثر تلاميذه وانتشرت طريقته، وانتقل إلى واحة (جغبوب) فأقام إلى أن توفي فيها. له نحو 40 كتابا ورسالة[2]، فهو يعتبر رائدًا من رواد مدرسة الإصلاح الإسلامي فى الشمال الإفريقى ووسطها وغربها[3] .

وغير ذلك من الطرق الكثير، والتى يصعب حصرها؛ لكثرة عددها وسعة انتشارها فى ربوع الأرض ومتخلف البلدان.

المبحث الثاني: أشهر مدارس التصوف القديم:

مدرسة الإمام الغزالى – رحمه الله تعالى– نموذجًا

إن الباحث في فكر حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي يجد أنه جمع بين الفلسفة والتصوف، بين الروح و الإيمان وبين العقل، فهو من حيث العلم بحر لا ساحل له، ومن حيث رجاحة العقل فله فيه القدح المعلى والتحرر الفكري من ربقة التقاليد، ومن حيث سمو ونصاعة الروح الفاضلة وإشراقها فكتبه دليل عليها، فهو آية في الجمال والكمال البشريين وإنسان ورجل بمعنى الكلمة بكل ما تحمل هذه الكلمة من أبعاد([4])

نشأة الإمام وأهم وأشهر مؤلفاته:

الغَزالي (450 - 505 هـ = 1058 - 1111 م)

---

[1] . السنوسي، محمد بن علي السنوسيين المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية ،(دار المعارف، 1، مصر ،1966)43

[2] . الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، (دار العلم للملايين، الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م)299/6

[3] . الصلابي، د. على محمد محمد الصلابي، تريخ الحركة السنوسية فى أفريقيا، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2009م)

[4] - عيسى عبد االله علي ، الفلسفة والتصوف عند أبي حامد الغزالى، (جامعة قطر، دولة قطر)

هو الإمام محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. ولد الإمام أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي بقرية "غزالة" القريبة من طوس من إقليم خراسان، وإليها نسب الغزالي، ونشأ في بيت فقير لأب صوفي لا يملك غير حرفته، ولكن كانت لديه رغبة شديدة في تعليم ولديه محمد وأحمد، وحينما حضرته الوفاة عهد إلى صديق له متصوف برعاية ولديه، وأعطاه ما لديه من مال يسير، وأوصاه بتعليمهما وتأديبهما اجتهد الرجل في تنفيذ وصية الأب على خير وجه، حتى نفد ما تركه لهما أبوهما من المال، وتعذر عليه القيام برعايتهما والإنفاق عليهما، فألحقهما بإحدى المدارس التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، والتي كانت تكفل طلاب العلم فيها. ودرس الغزالي في صباه على عدد من العلماء والأعلام، أخذ الفقه على الإمام أحمد الرازكاني في طوس، ثم سافر إلى جرجان فأخذ عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي، وعاد بعد ذلك إلى طوس ثم انتقل إلى نيسابور والتحق بالمدرسة النظامية، فتلقى فيها علم أصول الفقه وعلم الكلام([1])، وقد برع فى شتى العلوم والفنون، وعلا كعبه فى المناظرات وتقدم على أقرانه فى المقارعة بالحجج العقلية والمنطقية.

مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل عند من يقوله بتشديد الزاي أو إلى غَزَالة من قرى طوس لمن قال بالتخفيف، له مؤلفات كثيرة جدا.

من أشهر كتبه: إحياء علوم الدين ، و تهافت الفلاسفة و الاقتصاد في الاعتقاد و محك النظر و معارج القدس في أحوال النفس و مقاصد الفلاسفة و المضنون به على غير أهله وفي نسبته إليه كلام، و الوقف والابتداء في التفسير، و البسيط – في الفقه، و المعارف العقلية و لمنقذ من الضلال و بداية الهداية و جواهر القرآن و فضائح الباطنية ،قسم منه، ويعرف بالمستظهري، وبفضائح المعتزلة. و غيرها الكثير والكثير من المصنفات النافعة والمؤلفات الرائعة ، التى خدم بها المكتبة الإسلامية فهى الى اليوم وافرة وزاخرة بما تركه من مصنفات فى شتى العلوم والفنون. وللشيخ محمد الخضري رسالة في (ترجمته وتعاليمه وآرائه) نشرت في المجلد 34 من مجلة

[1] - عيسى عبد الله علي ، الفلسفة والتصوف عند أبي حامد الغزالى، (جامعة قطر، دولة قطر)

المقتطف. وبالتركية (إمام غزّالي) في تاريخه وفلسفته، لرضاء الدين بن فخر الدين، ولحسن عبد اللطيف عزام الفيومي، رسالة في (ما للغزالي وما عليه)([1]) .

دفاعه وجهده فى خدمة الدعوة: لقد قام الإمام أبو حامد الغزالي بالدفاع عن الإسلام والتصوف خير قيام، كما أن الدلائل على انتمائه الأصلي لأهل السنة والجماعة هو ما تشهد به كتبه الكثيرة مثل كتابه الشهير: إحياء علوم الدين، والمستصفى في علم أصول الفقه، والمنخول في تعليقات الأصول، والوسيط في فقه الإمام الشافعي، والوجيز في فقه الإمام الشافعي، والأربعين في أصول الدين ومنهاج، وغيرها من كتبه التي صارت نبراسا يهتدي به الحائرون جميعا.([2])

معنى التصوف عند الإمام الغزالى: إن حجة الإسلام الغزالي خير من عَرَفَ التصوف وعرَّفه، فقد سلم بان الشريعة والطريقة واحد ولكن الشريعة تعنى بظاهر الأمور، ويعنى التصوف بما في القلوب. ورأى أن التصوف لا يدرك بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات، قال الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين: الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. ومهما حصل ذلك كان االله المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم. وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر. وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية.([3])

أثر مدرسة الإمام الغزالي فى العلوم والفكر. يصعب الإحاطة بالآثار التي أحدثتها المدرسة الغزالية، فهي متعددة، شملت مختلف الحياة العلمية والاجتماعية، ولذلك نقتصر على الأثر الذي تركته في عملية الإصلاح والتجديد: فقد خلف الإمام عددًا كبيرًا من التلاميذ الذين طبعهم بشخصيته وأشبعهم باتجاهاته فحملوا رسالته وانطلقوا يبشرون بها في جميع طبقات المجتمع وفي المدارس والمساجد التي تسلموا مراكز التوجيه فيها. وظل يؤثر في تلاميذه جيلًا بعد جيل. كذلك من أهم الآثار لمدرسة الإمام الغزالى وفكره هو: انحسار التيارات الفكرية المنحرفة، فقد فجر فكر الإمام الإصلاحى التصوفي، حركة الإصلاح التي تتابعت حلقاتها بعده جيلًا بعد جيل

---

[1] - انظر: الزركلي الدمشقي، الأعلام 7/23

[2] - ينظر: عيسى عبد الله علي ، الفلسفة والتصوف، **مصدر سابق**

[3] - الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، إحياء علوم الدين(الناشر: دار المعرفة – بيروت)3/19

حتى انتهت بدحر الغزاة الصليبيين والتتاريين واسترجاع الأرض والمقدسات.([1])

المبحث الثالث: أهم نقاط الاتفاق والاختلاف بين الطرق الصوفية.

إن الطرق الصوفية تتفق فى المعتقد والفكر إلا أن لكل طريقة أسلوبًا فى التعليم والتعبد والتزكية، تختص به دون غيرها من الطرق.

" تشترك كل الطرق الصوفية في أفكار ومعتقدات واحدة، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو السالك وطرق تربيته، ونستطيع أن نُجمِل أفكار الطريقة الشاذلية في نقاط محددة، مع العلم أن هذه النقاط كما سنرى قد تفسر لدى الصوفية غير التفسير المعهود لدى عامة العلماء والفقهاء، وهذه النقاط هي:

. التوبة: وهي نقطة انطلاق المريد أو السالك إلى الله تعالى.

. الإخلاص: وينقسم لديها إلى قسمين: إخلاص الصادقين، إخلاص الصِّدِّيقين.

. النية: وتعد أساس الأعمال والأخلاق والعبادات.

. الخلوة: أي اعتزال الناس، فهذا من أسس التربية الصوفية.

. الذكر: والأصل فيه ذكر الله تعالى، ثم الأوراد، وقراءة الأحزاب المختلفة في الليل والنهار.

. الورع: وهو العمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الكامنة."[(2)]

وغير ذلك من المبادئ، والقواعد التى تتفق فيها الطرق الصوفية، وتلتزمها.

---

[1] - ينظر: مقال بعنوان: دور مدرسة أبو حامد الغزالي الإصلاحية في ظهور جيل صلاح الدين، المنتدى الإسلامي العالمى للتربية، على شبكة الانترنت، http://montdatarbawy.com/show/122197

[2] . الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرابعة، 1420 هـ)277/1

الفصل الثاني:

المقامات عند الصوفية.

وفيه: ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: المقامات، ويشتمل على ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: التعريف بالمقامات.

جمع مقام، والمقام: موضع القدم[1]، وقيل بمعنى المكان[2]، قال أبو البقاء: " والمقام بالفتح، من قام يقوم، وهُو موضع القيام والمراد المكان وهُو من الخاص الذي جعل مُستعملا في المعنى العام، فإن موضع قيام الشيء أعم من أن يكون قيامه فيه بنفسه أو بإقامة غيره، ومن أن يكون ذلك بطريق المكث فيه أو بدُونه، والمقام يُقال للمصدر والمكان والزمان والمفعُول"[3]

المقام: في اصطلاح أهل الحقيقة: عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة تكلف، فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك[4]

وقيل: المقام هو" المقامُ: ما يتحقق للعبد بمنازلته من الأدب مما يتوصل إليه بنوع تصرف."[1]

---

[1] . ينظر: للخليل الفراهيدي، كتاب العين232/5. وينظر: لابن منظور، لسان العرب 498/12

[2] . الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، غريب الحديث، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الأولى، 1384 هـ - 1964 م)214/4

[3] . الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، (مؤسسة الرسالة - بيروت، ت د)827/1

[4] . ينظر: للجرجاني، التعريفات 227/1

المبحث الثاني: الفرق بين المقام والحال.

سبق فى المطلب الأول التعريف بالمقام، ولايجاد الفرق بينه وبين الحال نذكر فى عجالة التعريف بالأحوال.

جمع حال، ويقصد به الهيئة التى عليها الإنسان من صفاء أو جفاء.

قال التهانوي: " الحال معنى يتصل بالقلب وهو وارد من الله – تعالى، فإن المحبة والشوق والقبض والبسط هي من جملة الأحوال" [2]

وقال الجرجاني: " الحال في اللغة، نهاية الماضي وبداية المستقبل"[3]

فالحال معنى يرد على القلب بغير تصنع، ولا اجتلاب، ولا اكتساب، من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيئة، وتزول بظهور صفات النفس [4]، وعند أرباب السلوك: الحال هو ما يرد على قلب السالك من موهبة الوهاب ثم يترقى عنهُ. أو يتنزل، كما قيل الحال ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض، وإنما سمي حالا لتحوله ويقابله المقام. وقيل الحال عطاء الله المتعال ذي الجلال الذي يرد على قلب السالك بدُون الكسب.[5]

الفرق بين المقامات والأحوال:

إن العبد يعمل بالطاعات ممتثلا أمر الله تعالى، وملتمسًا هدي نبيه – صلى الله عليه وسلم–؛ لينال بذلك القرب منه سبحانه، ويحظى بمعيته –□–، ويمر بالعبد أوقات فاضلة، وأزمنة عامرة بالفضل والبركة، فيكثر فيها للعبد الثواب، ويضاعف له فيها الأجر، ويوهب له من ربه– تعالى– أحوالا يجد لها لذة فى قلبه. ومداومته على طاعة ربه– سبحانه– وشكره لعطاياه؛ يورثه مقامات فضلى، ودرجات عليا تزيده تحققا من مقام العبودية، والذى هو أفضل المقامات.

---

[1] . السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، (مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، الأولى، 1424هـ – 2004 م)210/1

[2] . ينظر: التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 612/1

[3] . ينظر: للجرجاني، كتاب التعريفات 81/1

[4] . ينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف 134/1

[5] . انظر: للقاضي الأحمد نكري، دستور العلماء 4/2

قال التهانوي: " قال في شرح القصيدة الفارضية: كل المقامات والأحوال بالنسبة إلى التوحيد كالطرُق والأسباب الموصلة إليه، وهو المقصد الأقصى، والمطلب الأعلى، وليس وراءه للعباد قربة، وحقيقته جلت عن أن يحيط بها فهم، أو يحوم حولها وهم، وتكلم كل طائفة فيه بعضهم بلسان العلم والعبارة، والبعض بلسان الذوق والإشارة، وما قدروه حق قدره وما زاد بيانهم غير ستره " [1]

فبالعمل الصالح، يترقى العبد فى درجات المقامات رقيا، ويوهب له ربنا الوهاب منه أحوالاً شريفة تلطف قلبه، ويشعر معها بنعيم العبادة، وأنس المناجاة، ولذة الخلوة بربه المعبود.

لذلك؛ فالحال معنى يتصل بالقلب وهو وارد من الله – تعالى– وقد يمكن تحصيله بالتكلف ولكنه يذهب[2]، فهو عارض لا يدوم[3]، وهُو تكيف القلب وانصباغه بحُكم الواردات على اختلافها، وهو ثمرة العلم، ولا يصفُو حال إلا بصفاء العلم المُثمر لهُ. وعلى حسب شوب العلم يكُون شوبُ الحال. وإذا صفا الحالُ: شاهد العبد – بصفائه – آثار الحقائق. وهي الشواهدُ فيه، وفي غيره، وعليه، وعلى غيره. ووجد حلاوة المناجاة. وإذا تمكن في هذه الدرجة: نسي الكون وما فيه من المُكونات[4]، أما المقامات فهى مكاسب، وتحصل ببذل المجهود[5]، قال القاضى الأنكري: " إن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتي من عين الجُود، والمقامات تحصل ببذل المجهود"[6]

---

1 . انظر: للتهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 528/1

2 . المصدر السابق 612/2

3 . ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، (دار السلفية، القاهرة، مصر، الثانية، 1394هـ)27/1

4 . ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة، 1416 هـ – 1996م)141/3

5 . ينظر: للشريف الجرجاني، التعريفات 81/1

6 . الأنكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، (دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الأولى، 1421هـ – 2000م)4/2

المبحث الثالث: أنواع المقامات:

من استقراء كتب أهل العلم، وبالأخص التى تُعنى بالسلوك والتزكية، يتضح لنا أن المقامات على نوعين:

النوع الأول:

- ماكان تحصيله عن طريق الهبة والعطاء، دون كسب من العبدلأجل تحصيله، وهو مقام النبوة والرسالة، ويشتمل هذا النوع على خمسة مسائل:

المسألة الأولى:

معنى النبوة فى **اللغة:** النبوة: الارتفاع، وقال الأصمعي: النباوة والرباوة والربوة والنبوة: الشرف من الأرض.[(1)]، لأن النبي مُرتفعُ الرُتبة على سائر الخلق[(2)]

والنبوة فى **الاصطلاح:** هى وحى الله – تعالى – لمن شاء من خلقة بما أراد بلاغه، وبيانه لعباده. والنبي: من أوحي إليه بملك، أو أُلهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة، فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة "[(3)]

المسألة الثانية:

حاجة الخلق لهذا المقام.

لا شك بأن النبوة ضرورة من ضرورات حياة البشر، لا غنى عنها بحال من الأحوال، فحاجة البشرية إلى النبوة، كحاجة الحياة إلى الروح، وأنهم أي: الرسل من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص، قال ابن القيم– رحمه الله – مبينا حاجة العباد إلى الأنبياء والرسل: " ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي

---

[1] . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الفائق في غريب الحديث والأثر،المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعرفة – لبنان، الثانية، ت د 403/3)

[2] . ينظر: للسفاريني، لوامع الأنوار البهية 265/2

[3] . ينظر: للجرجاني، التعريفات239/1

الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير [1]

فالنبوة مقام من المقامات التي يمنُ ربنا – تعالى- بها على من اختاره من خلقه واصطفاه لهذه المهمة، والرسالة، والتكليف، وهى تكليف وهبة من الباري – تعالى، وهذا مذهب أهل الحق.

فليست النُبُوة معنى يعود إلى ذاتى من ذاتيات النبى ولا إلى عرض من أعراضه استحقها بكسبه وعمله ولا إلى العلم بربه فإن ذلك مما يثبت قبل النُبُوة ولا إلى علمه بنبوته إذ العلم بالشئ غير الشئ ﴿ ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾ فليست إلا موهبة من الله تعالى ونعمة منهُ على عبده وهُو قوله لمن اصطفاه واجتباه إنك رسولي ونبيي[2]

فالنُبُوة والرسالة، فضل من المولى الأجل- سُبحانهُ وتعالى- يُؤتيه من شاء ممن سبق علمُه وإرادتُه الأزليان باصطفائه لها، فاللهُ أعلم حيثُ يجعل رسالتهُ[3]

المسألة الثالثة: **الفكر المغلوط تجاه تصور هذا المقام.**

إن بعض غلاة المتصوفة اتخذوا طريقا آخر فى تصور هذا المقام تشابهوا فيه مع الفلاسفة، فنجد[4] قول الفلاسفة عن مقام النبوة أنه: مقام ينالُ بالكسب والرياضة، فالنُبُوة بزعمهم من لازم الخلوة والعبادة ودوام المُراقبة وتناوُل الحلال وإخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المُشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآةُ باطنه وفُتحت بصيرةُ لُبه، وتهيأ لما لا يتهيأُ لهُ غيرُهُ من التحلي بالنُبُوة، لأن النُبُوة عندهُم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص في الإنسان

---

[1] . تامر محمد محمود متولي، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، (دار ماجد عسيري، الأولى 1425هـ- 2004م)682/1

[2] . الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ)، غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، ت د)317/1

[3] . السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي 1188هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، (مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الثانية – 1402 هـ – 1982 م)268/2

[4] . ينظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية 268/2

(إحداها) الاطلاعُ على المُغيبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصاله بالرُوحانيات العالية من غير سابقة كسب ولا تعلُم ولا تعليم،(الثانيةُ) : ظُهُورُ خوارق العادات بحيثُ تُعطيه الهيُولى العُنصُرية القابلة للصُور المُفارقة إلى بدن،(الثالثةُ) : مُشاهدةُ الملائكة على صُور مُتخيلة، ويسمعُ كلام الله تعالى، وعن بعض الصُوفية أن الولاية أفضل من النُبُوة لأنها تنبئ عن القرب والكرامة كما هُو شأن خواص الملك المقربين منهُ[1]، قال الإمام برهان الدين البقاعي: " يدين بعض غلاة الصوفية بأن النبوة أعلى من الرسالة، وبأن الولاية أعلى من النبوة، فيكون الولي عندهم أسمى مقاما من النبي والرسول، ولذا يقول ابن عربي: مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول، ودون الولي[2]

المسألة الرابعة: خطورة هذا التصور الخاطئ تجاه هذا المقام.

ولاشك أن هذا باب شر ومقالة فتنة، إذ النبوة وعلومها هبة إلهية، ومنحة ربانية، لا تنال بالكسب والمجاهدة، فأصبح كل من ظن في نفسه خيرا، فمن أراد بهذه الأمة شرا يزعم أنه خاتم الأولياء، وأنه يأخذ علومه عن الله من غير واسطة، وهذا ضلال كبير، فليس لأحد من هذه الأمة أن يزعم أنه أفضل من أحد من الأنبياء، وليس لأحد يزعم الصلاح أن يتعبد الله بطريقة تخالف طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم[3]

المسألة الخامسة: رد أهل السنة من السلف على هذا التصور الخاطئ.

وقد رد أهل السنة، ومتبع السلف على مقالة الغلاة من المتصوفة والشيعة والفلاسفة التى تنص على: " أن النبوة تُنالُ بالكسب"، ومقالة " الولاية أفضل من النبوة" ، حيث قالوا: لا مقام أعظمُ من مقام النُبُوة، مقام قوم ارتضاهُمُ اللهُ – عز وجل – لصُحبة نبيه – صلى الله عليه وسلم–، ونُصرة دينه القويم، وصراطه المُستقيم، قال تعالى: ﴿ مُحمد رسُولُ الله والذين معهُ أشداءُ

---

[1] . انظر: للقاضي الأحمدي الأنكري، دستور العلماء323/3

[2] . البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، المحقق: عبدالرحمن الوكيل، (عباس أحمد الباز – مكة المكرمة، ت د)172/1

[3] . عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الرسل والرسالات، (مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الرابعة، 1410 هـ – 1989 م)216/1

على الكُفار رُحماءُ بينهُم﴾[1] ، وقال: ﴿ والسابقُون الأولُون من المُهاجرين والأنصار والذين اتبعُوهُم بإحسان رضي اللهُ عنهُم ورضُوا عنهُ﴾[2]، فمن تأمل فيما ذكرناهُ حق التأمُل، وأعطى المقام حقهُ نجا من قبيح ما انتحلت الرافضةُ، وفضيح ما ذهب إليه الإلحادُ في آيات الله، وأحاديث رسُول الله – صلى الله عليه وسلم– من الإفك والمُناقضة، فالحذر الحذر من أدنى شائبة تُزري بتلك المناصب الشامخة، والعُلُوم الراسخة[3]

قال الإمام الطحاوي: " ولا نُفضلُ أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهمُ السلامُ ونقُولُ: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء"[4]، وقد شنع شيخ الإسلام ابن تيمية على من يزعم ذلك في مواضع كثيرة من كتبه، وقال: إن ذلك مخالف لدين الإسلام واليهود والنصارى. فلو هُدوا هؤلآء لعلموا أن أفضل ما عند الولي ما يأخذه عن الرسول، لا ما يأخذه عن قلبه، وأن أفضل الأولياء الصديقون وأفضلهم أبو بكر – رضي الله عنه – وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا[5]، كما ثبت في صحيح مسلم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " «قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر» "[6]، ومع هذا فالصديق الذي تلقى من مشكاة النبوة مطلقا أفضل، لأن مأخذه معصوم من الخطأ، والمُحدث ليس معصوما بل يقع له الصواب والخطأ، ولهذا يحتاج أن يزنه بميزان النبوة المعصومة.

---

1 . الفتح: أية 29

2 . التوبة: أية 100

3 . ينظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية385/2

4 . أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)، تخريج العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي – بيروت، الثانية، 1414 هـ)83/1

5 . انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية301/2

6 . سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، (الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م)5/622 . هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ، المستدرك على الصحيحين [ك]– دار التابعين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405 هـ)، (الناشر: دار التأصيل، الطبعة: الأولى، 1435 - 2014)5/266

النوع الثانى:

- ما كان تحصيلة عن طريق بذل الجهد، والتشمير عن ساعدى الجد والاجتهاد فى العبادة والعمل الصالح، فيمُن الله – تعالى– بفضله على عبده المجتهد، فيرفعه مقاما أعلى، فى مقامات العبادة المتنوعة. فالمقامات مكاسب، وتحصل ببذل المجهود[1]، قال شيخ الإسلام مبينا أهمية العمل وبذل الجهد فى تحصيل المقامات المترتب عليها رفعة الإيمان" وأساس المقامات العالية في الإيمان: اتباع الأمر والنهي" [2]، وكذلك قال الإمام القشيري: ما ذهب إليه جمهور الصوفية يميزون بين الأحوال والمقامات، فالأحوال مواهب من الحق، والمقامات مكاسب للعبد– وإن كانت هذه المكاسب تتم هي الأخرى بفضل الله وعونه[3]

المطلب الثاني: ذكر بعض المقامات فى الفكر الصوفى، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مقام التوبه. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالتوبة:

التوبة لغة: التوبة: الرجوع من الذنب. وفي الحديث: " الندمُ توبة "[4]، وكذلك التوبُ مثله. وقال الأخفش: التوبُ جمع توبة، مثل عومة وعوم[5]، ونقيض التوبة الإصرار وتاب توبة وتوبا واستتابة، والله التواب يقبل التوبة عن عباده[6]

---

[1] . انظر: محمد بن إبراهيم الحمد، مصطلحات في كتب العقائد،(درا بن خزيمة، الاولى)151/1

[2] . ينظر: لشيخ الإسلام، رسالة العبودية(أ.ه)

[3] . ينظر: للإمام القشيري، لطائف الإشارات 340/3

[4] . سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: 2)2/1420 ، وقال الألباني الحديث صحيح، انظر تحقيق الألباني على سنن ابن ماجة

[5] . ينظر: للفارابي، الصحاح تاج اللغة، باب(توب)91/1

[6] . ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المخصص، المحقق: خليل إبراهم جفال، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى، 1417هـ 1996م)62/4

التوبة شرعا: هى الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب[1]، وهى باب الأبواب؛ لأنها أول ما يدخل به العبد حضرة القرب من جناب الرب، فالرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الممدوحة، واجب على الفور عند عامة العلماء؛ أما الوجوب؛ فلقوله تعالى:﴿وتُوبُوا إلى الله جميعا أيُها المُؤمنُون﴾[2]، وأما الفورية؛ فلما في تأخيرها من الإصرار المحرم[3]

فالتوبة: الرُجُوعُ عن الذنب، والإنابةُ إلى الله بالاستغفار منهُ، وهي ثلاثةُ أركان:

الأولُ: الإقلاعُ عن الذنب إن كان مُتلبسا به.

والثاني: الندمُ على ما وقع منهُ من المعصية.

والثالثُ: النيةُ ألا يعُود إلى الذنب أبدا.

والأمرُ في قوله في هذه الآية: " وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ " الظاهرُ أنهُ للوُجُوب وهُو كذلك، فالتوبةُ واجبة على كُل مُكلف، من كُل ذنب اقترفهُ، وتأخيرُها لا يجُوزُ فتجبُ منهُ التوبةُ أيضا[4]

المسألة الثانية: حكم التوبة:

و التوبة واجبة على المكلف فورا من ذكل ذنب[5]، لأنها من أحب العبادات إلى الله تعالى[6]

---

1 . ينظر: للجرجاني، التعريفات 70/1

2 . سورة: النور 31

3 . ينظر: المصدر السابق.

4 . الشينقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ)519/5

5 . ابن فقيه فصة، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقي، تقي الدين، العين والأثر في عقائد أهل الأثر، المحقق: عصام رواس قلعجي، (دار المأمون للتراث، الأولى، 1407هـ)134/1

6 . عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، (د.ت)677/2

واتفق العلماء على أن التوبة واجبة من كل معصية على الفور[1]، وأن من تاب توبة نصوحا تاب الله عليه، وبدل سيئاته حسنات، كما أخبر الله به في كتابه: " فمن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ "[2] ، إلا من تاب وآمن يعني: تاب من الشرك والزنى والقتل، وصدق بتوحيد الله تعالى: وعمل عملا صالحا فأُولئك يُبدلُ اللهُ سيئاتهم حسنات يعني: مكان الشرك الإيمان، ومكان القتل الكف، ومكان الزنى العفاف، ومكان المعصية العصمة والطاعة. ويقال: إنه يبدل في الآخرة مكان عمل السيئات الحسنات[3]

المسألة الثالثة: فضل التوبه.

إن معرفة الفضل تورث الهمة للمبادرة بالعمل، لذلك حثنا القران الكريم إلى عمل الصالحات بذكر الفضائل وإبراز أوجه البر والخير، والإسهاب فى الحديث عن الأجر والثواب المترتب على فعل الخير وعمل الصالحات، قال تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ "[4]، فعلق الفلاح فى الاية على فعل الخير مع الجزم بأن العمل لايدخل الإنسان بسببه الجنة، بل دخولها بفضل الله ورحمته كما قال النبي(صلى الله عليه وسلم): " لا يدخلُ الجنة أحد بعمله ولكن برحمة الله"[5]

---

[1] . ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (المتوفى: 1392هـ)، حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، (د، ت)65/1

[2] . الفرقان، أية 70

[3] . ينظر: السمرقندي، بحر العلوم546/2

[4] . الحج، الآية: 77

[5] . مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
الطبعة: الأولى، 1405 – 1984)1/402 ، ينظر: نبيل الجرار، (أضواء السلف، الأولى، 1428 هـ – 2007 م)195/1

وقوله تعالى: " فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ "[1]، فأرشد القرآن الكريم وندب إلى العمل الصالح ورتب عليه تحقيق الفوز والفلاح والنجاة، وإن كان هذا العمل هو من العبادات واجبة التحقق والفعل على المكلف.

وللتوبة فضائل كثيرة نذكر بعضا منها كما وردت فى كتب أهل العلم.

فمن فضائل التوبة:

1/ أن باب الأمل لا يُوصد مادامت التوبة قريبة المنال من العبد، وهل هناك مايغلق دون العبد باب الأمل أكثر من الجريمة النكراء الشرك بالله تعالى ، والقتل!

ومع ذلك فقد دعى الله تعالى من أشرك به إلى التوبة ليفتح لهم باب الأمل، فقال تعالى " أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤ "[2]،قال أبو جعفر: أفلا يرجع هذان الفريقان الكافران القائل أحدهما:" إن الله هو المسيح ابن مريم "، والآخر القائل:" إن الله ثالث ثلاثة " عما قالا من ذلك، ويتوبان مما قالا ونطقا به من كفرهما، ويسألان ربهما المغفرة مما قالا ﴿ والله غفور﴾، لذنوب التائبين من خلقه، المنيبين إلى طاعته بعد معصيتهم، "رحيم" بهم، في قبوله توبتهم ومراجعتهم إلى ما يحب مما يكره، فيصفح بذلك من فعلهم عما سلف من أجرامهم قبل ذلك.[3]

وفى الحديث الصحيح أن رجلًا قتل مآئة نفس بغير حق ثم طلب التوبة، وأن الله تعالى غفر له ماقدم لتوبته وأدخله الجنة، فعن أبي سعيد الخُدري: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان فيمن كان قبلكُم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاهُ فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل لهُ من توبة؟ فقال: لا،. فقتله، فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل لهُ من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناسا يعبدُون الله، فاعبد

---

1 . الكهف، الآية: 110

2 . المائدة، الآية:74

3 . ينظر: للطبري، تفسير الطبري484/10

الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاهُ الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب: فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مُقبلا بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط. فأتاهُم ملك في صُورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: " قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهُو لهُ، فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة "[1]

2/ من فضائل التوبة: هى سبب فى حصول صفة الفرح لله تعالى.

معلوم أن الله تعالى إذا ضحك لأحد أو فرح به فإنه لايعذبه كما جاء فى الحديث الذى روته السيدة عائشة (رضى الله عنها): " وعن عائشة – رضي اللهُ عنها – قالت: سمعتُ رسُول الله – صلى اللهُ عليه وسلم – يقُولُ: " «إن الله يضحكُ من يأس عباده وقُنُوطهم وقُرب الرحمة منهُم "، فقُلتُ: بأبي أنت وأُمي يا رسُول الله، أويضحكُ ربُنا؟ قال: " نعم، والذي نفسي بيده، إنهُ ليضحكُ! ". قُلتُ: فلا يُعدمُنا خيرا إذا ضحك»[2]، وهذا إقرار سكوتي منهصلى الله عليه وسلم بأنه تعالى لايعذب من يضحك ويفرح به وله.

وفى الحديث: " فيقول العبد: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو، حتى يضحك الله منه؛ فإذا ضحك منه أذن له في دخول الجنة..." [3]

3/ من فضائل التوبة أنها: بمثابة الترجمة العملية لاقتفاء أثر سيد البرية (صلى الله عليه وسلم).

فهو المصطفى الحبيب والذى عصمه ربه تعالى من الذنوب صغيرها وكبيرها، علانيتها وسرها، ومع ذلك كان يكثر من التوبة والاستغفار لربه الغفار سبحانه وتعالى، فمن رام التأسي والاقتداء فليلزم مقام التوبة والرجاء، فقد صح عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " "يا أيُها الناسُ تُوبُوا

---

[1]. صحيح مسلم، باب قبول توبة القاتل وان كثر قتله 4/2118

[2]. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة)5/137 ، رواه الطبراني في الأوسط، وفيه خارجة بن مصعب، وهو متروك الحديث، ينظر مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ 2/25

[3]. صحيح البخاري، باب فضل السجود 1/160

إلى ربكُم، فوالله إني لأتوب في اليوم مئة مرة "[1]، وقال . عليه الصلاة والسلام: "يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه، فإني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم أو في كل يوم مائة مرة أو أكثر من مائة "[2]

4/ كذلك من فضائل التوبة: أنها تعبر عن اعتقاد العبد فى ربه سعة فضله ورحمته.
فهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويغفر السيئات ويعفو عن الذنوب والآثام العظام، ولايمنعه عن مغفرة ما اقترف العبد من خطايا وذنوب شيء إذا عاد العبد لربه وآب وتاب وأناب، فالله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار وكذلك يبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل كما جاء الحديث بهذا، قال النبيصلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها "[3]، فشرع الله لبني آدم الشرائع التي تصلح بها دنياهم وأخراهم، ونهاهم عن المعاصي والذنوب التى توجب غضبه عليهم كأن يشركوا به شيئا، أو يسرقوا، أو يزنوا، أو يقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فالله تعالى أمر عباده أن يطيعوه فيما أمر، ولا يعصوه فيما نهى عنه وزجر،
ولما كان الالتزام شاقا وصعبا، وكانت أخطار المعاصي ودوافعها البشرية غالبة، فتح الله باب تكفيرها، ومحوها وغفرانها بعد وقوعها، فشرع الحدود، لتكون رادعة لأمثال العاصي، مكفرة لذنب من عصى، وأنزل البلايا والمصائب، من الخوف والجوع والنقص من الأموال والأنفس والثمرات، فما من مسلم يصاب بمصيبة من هم ولا غم ولا حزن ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر له من خطاياه، ثم فتح للمسلم باب التوبة[4]، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، فمن تاب وآمن وعمل عملا صالحا، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وفوق هذا وذلك أعلن أنه الغفور الرحيم، وقال في كتابه العزيز: " ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ

1. مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241 هـ)، المحقق: مكتب البحوث بجمعية المكنز، (الناشر: جمعية المكنز الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1431 هجرية، 2010 م)6/2285

2. صحيح مسلم، باب في التوبة 7/66

3. صحيح مسلم، باب قبول التوبة من الذنوب وان تكررت الذنوب 4/2113

4. الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم(دار الشروق، الأولى 1423 هـ - 2002 م)622/6

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ "[1]، وعلى هذا الأساس الإسلامي، والقانون الإلهي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع المسلمين والمسلمات.[2]

5/ من الفضائل للتوبة أيضا: فعل ما يحب الله وأمر به.

فالله تعالى يعلم من عبده الضعف وغلبة الهوى وإيثار الدنيا وإن كان لله تعالى محبا وللآخرة عاملا، إلأ إنه جبل على حب الشهوات كما أعلمنا القرآن بذلك فقال تعالى: " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ "[3]، فالإنسان ضعيف الخلق، ومهما حاول مقاومة هذا الضعف فإنه يغلب فى النهاية ويسقط، قال تعالى: " يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ "[4]، ومن صور تخفيف الله تعالى على عباده أن شرع لهم التوبة وأمرهم بها وحثهم عليها، وبين أنه يحبها من عبده ويرضاها له قال تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ "[5]، وقال أيضا: " وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ " [6]، وقال سبحانه وتعالى: " وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ " [7]، فالله تعالى يريد أن يراجع بكم طاعته والإنابة إليه، ليعفو لكم عما سلف من آثامكم، ويتجاوز لكم عما كان منكم في جاهليتكم، من استحلالكم ما هو حرام عليكم من نكاح حلائل آبائكم وأبنائكم وغير ذلك مما كنتم تستحلونه وتأتونه، مما كان غير جائز لكم إتيانه من معاصي الله[8]، وقال النبيصلى الله عليه وسلم: " ما من شيء أحبُ إلى الله عز

---

[1]. الزمر، الآية: 53

[2]. ينظر: د. موسى لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم622/6

[3]. آل عمران، الآية: 14

[4]. النساء، الآية: 28

[5]. البقرة، الآية:122

[6]. النور، الآية:31

[7]. النساء، الآية: 27

[8]. ينظر: الطبري، تفسير الطبري212/8

وجل من شاب تائب " [1]، وغير ذلك من الفضائل والتى لايتسنى المقام لإيرادها كاملة، وقد اكتفيت بالتنويه على أبرزها وأهمها، وفقنا الله تعالى للتوبة النصوح.

المبحث الثاني: مقام الزهد، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالزهد.

الزهد فى اللغة: خلاف الرغبة، تقول: زهدتُ في الشيء أزهد فيه زُهدا وزهادة[2]،

والزاهد في الدُنيا: التارك لها ولما فيها، والجمع زُهاد، والزهد: عدم الرغبة والرضا بالقليل، ومنه قولك: رجل زاهد، وامرأة زاهدة أي: القليل طمعه وطمعها.

الزهد اصطلاحا: هو بغض الدنيا والإعراض عنها[3]، فإذاعلم الفطن حقيقة الدنيا وحقارتها زهدها، كما قيل:

إن لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

طلقوها حينما علموا * أنها ليست لأحد وطنا

جعلوها لُجة[4] وجعلوا * صالح الأعمال فيها سفنا

وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة[5]، فمن رام الراحة ترك الراحة، أي من أراد راحة الآخرة، ترك راحة البدن فى هذه الدنيا، ونشط للعمل فى مرضاة ربه تعالى.

---

[1]. جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، جلال الدين السيوطي (849 - 911 هـ)، المحقق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، (الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، 1426 هـ - 2005 م)8/11 ، قال الإمام الألباني الحديث ضعيف ، ينظر صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المصدر المكتبة الشاملة 1/11964

[2]. انظر: الأزدي، جمهرة اللغة643/2

[3]. ينظر: الجرجاني، التعريفات115/1

[4]. البحر العميق حيث لا يدرك قعره

[5]. ينظر: الجرجاني، التعريفات أ.هـ

وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك[1]، أي: أن تجعل الدنيا وما أصابك من نعيمها لايصيب قلبك منه شيء، فلاتطلب أكثر مما رزقته منها، وما حصلته منها لا يشغل قلبك، بل أقصى ما فى الأمر وغايته أن تستخدمه يداك فى تمرير أيام الدنيا فى طاعة المولى سبحانه وتعالى، وعلامة ذلك أن لا تكترث لما فاتك منها ولا تغتم لما لم تقدر على تحصيله منها " لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ "[2]

المسألة الثانية: فضل الزهد.

للزهد فضائل كثيرة ورد بهها الشرع الحكيم، وذلك لما فى الزهد من خير كثير للفرد وللمجتمع كله، وسنستعرض فيما يلي بعض فضائل الزهد، رغبة فى علو الهمة تجاه طلب تحقيق هذا المقام الشريف وهو مقام الزهد.

من فضائل الزهد:

1/ الزهد يجلب محبة الله تعالى للعبد.

إن أردت أن يحبك الله تعالى فازهد في الدنيا، فالزهد سبب محبة الله تعالى فيصير الزاهد حبيب الله تعالى، فينبغي أن يكون الزهد من أفضل الأحوال؛ لأنه مجلب للمحبة، و المحبة أعلى المقامات، وفي دليل الكلام: إن من رغب في الدنيا فقد تعرض لبغض الله تعالى الذي لاشيء أعظم منه وأن المحب للدنيا بغيض الله تعالى[3]، وكان أبو محمد رحمه الله تعالى يقول: اجعلوا أعمال البر في موازين الزهاد ويكون ثواب زهدهم زيادة لهم، وقال أيضا: العبّاد في موازين

---

[1] . نفس المصدر السابق.

[2] . الحديد، الآية: 23

[3] . أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: 386هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، (دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، تحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الثانية، 1426 هـ –2005 م)406/1

العلماء والعلماء في موازين الزهاد يوم القيامة فلا يطمعن طامع في محبة الله تعالى وهو محب للدنيا لأن الله تعالى يمقتها[1]

واعلم أن الزهد فضل على غيره بجلب محبة الله تعالى، وهذا لأن الزهد يدعو إلى إخراج الشيء، وعكسه يدعو إلى إمساكه، فنفس السخاء زهد، فلذلك ذم البخل لأنه رغبة في الدنيا، ثم[2] إن الحرص علامة البخل لأنه دليل الرغبة، والقناعة علامة السخاء لأنها باب الزهد، فلذلك قيل: سخاء النفس عما في أيدي النفس أفضل من سخاء البذل، فمن جاد بملكه لله تعالى كان زاهدا فيه لله تعالى ووقع أجره على الله، ومن جاد بما له لأجل الناس كان أيضا زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء، ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه ولا أجر له عند الله تعالى إذ لم يكن من عمال الله تعالى فبطل أجره لأنه عمل لنفسه وحصل شكره وذكره في الدنيا لأنه عمل لأجل الناس.

وجاء فى الأثر عن بعض الصحابة أنه قال: قلنا: يا رسول الله–صلى الله عليه وسلم– " أي الناس خير؟ فقال: كل مؤمن مخموم القلب، صدوق اللسان. قلنا: يا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد. قلنا: يا رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فمن على أثره؟ قال: الذي ينسى الدنيا ويحب الآخرة" [3] ومفهوم هذا: أن شر الناس الذي يحب الدنيا. وقال – صلى الله عليه وسلم– "إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا"[4] فجعل الزهد سببا للمحبة فمن أحبه الله تعالى، فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى.[5]

2/ من فضائل الزهد: أنه يورث محبة الناس.

---

[1] . ينظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب أ، هـ

[2] . ينظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب419/1

[3] . سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي)2/1409، قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي اسناده صحيح ، ينظر نفس المصدر

[4] . سنن ابن ماجة 2/1373، قال محمد فؤاد عبد الباقي الحديث ضعيف متفق على ضعفه ، نفس المصدر

[5] . الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، إحياء علوم الدين، (دار المعرفة – بيروت ، ت د)220/4

إن محبة الناس من الرزق الذى يرزق الله بها من شاء من عباده، ولاسبيل لجلب هذا الرزق بمثل سبيل الزهد، والسير به بين الناس، فقد روي عنه – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس" [1]، فالزهد فيما عند الناس يشمل الزهد فى الرياسة عليهم، وفي المنزلة والجاه عندهم، والزهد في حب الثناء والمدح منهم لأن هذه المعاني هي من أكثر أبواب الدنيا، فالزهد فيها هو زهد العلماء، كان الثوري رحمه الله تعالى يقول: الزهد في الرياسة ومدح الخلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم. قال: لأن الدينار والدرهم قد يبذلان في طلب ذلك وكان يقول: هذا باب غامض لا يبصره إلا سماسرة العلماء. وقال الفضيل رحمه الله تعالى: نقل الصخور من الجبال أيسر من إزالة رياسة قد ثبتت في قلب جاهل[2]

3/ من فضائل الزهد: أنه يورث الحكمة.

الحكمة من الأرزاق التى أثنى عليه الله تعالى فى كتابه الكريم وعلى من اتصف بها بقوله تعالى:" يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ "[3]، فالزهد طريق تحصيل الحكمة، كما قال ذو النون المصري: " اليقين داع إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، والحكمة تورث النظر في العواقب" [4]

المسألة الثالثة: أنواع الزهد.

الزهد كمقام مثل باقى المقامات التى لابد للمريد والسالك أن يكثر من التدرب عليها أو على الوصول إليها، كمن يتدرب ليصل إلى لياقة بدنية أعلى مما هو عليه ليفوز بجائزة أو يدخل غمار سباق ...

---

[1] . سنن ابن ماجة 2/1373، قال محمد فؤاد عبد الباقي الحديث ضعيف متفق على ضعفه ، نفس المصدر

[2] . ينظر: أبو طالب المكي، قوت القلوب443/1

[3] . البقرة، الآية: 269

[4] . القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، الرسالة القشيرية، (تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ت د)318/1

والزهد نوعان:

الأول: وهو ترك لذات الدنيا والتخفف منها ابتغاء رضوان الله تعالى، وصرف الأوقات فى أنواع العبادات، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، وكلامهم قريب بعضه من بعض، قال: وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله – عز وجل[1]

والثاني: الزهد المذموم، وهو الذى يتصنع فيه صاحبه ابتغاء صرف وجوه الناس إليه، فيتقنَّعُ بالإزار فوق العمامة ويسبل الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق، فهؤلاء المُراءُون بالزي يطلبون المنزلة عند أهل الصلاح؛ بإظهار الزهد فيلبسون الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليراءون بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها، ويظهرون أنهم غير مكترثين بالدنيا، ولو كلف أحدهم أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عندهُ بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقُول الناسُ قد بدا لهُ من الزُهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا[2]، ولكن أيُها العبدُ المُقتفي سُنن نبيك المُصطفى – صلى اللهُ عليه وسلم – ليس تركُ الطيبات من الزُهد في شيء، نعم لا ينبغي الانهماكُ في اللذات كما قدمنا (أو) كُل (ضدهُ) أي ضد الطيب، فالبس الذي تجده من أنواع اللباس من الرقيق الناعم، والغليظ الخشن حيثُ كان الطيبُ، وكل طيبا من أنواع الأطعمة كاللحم والسمن، والعسل واللبن، والخُبز الرقيق وأنواع الحلوى ولا تترُكهُ تزهُدا، وأما إن كان من مُحرم فلا يسُوغُ لك أن تأكُل ولا تلبس منهُ، فإن وبالهُ عليك وعاقبتهُ الوخيمة بين يديك فلا يسُوغُ لك أن تعصي مولاك وتُرضي نفسك وتُطيع هواك ولا تتقيد بنوع فقط بأن لا تأكُل إلا ناعما طيبا، أو لا تلبس إلا ناعما رقيقا وعكسُهُ، فإن سيرة المُصطفى أكملُ السير، وهُو خُلاصةُ العالم ونهايةُ البشر. وكان يكُونُ تارة هكذا وتارة هكذا[3]

---

[1] . أحمد بن ناصر الطيار، حياة السلف بين القول والعمل، (دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام – المملكة العربية السعودية، الأولى، 1433 هـ)411/1

[2] . ينظر: الغزالى، أبى حامد الغزالى، إحياء علوم الدين(298/3)

[3] . السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : 1188هـ)، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، (مؤسسة قرطبة – مصر، الثانية ، 1414 هـ / 1993م)132/2

المبحث الثالث: مقام التوكل.

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف التوكل.

التوكل لغة: مصدر توكل[1]، وهو إظهار العجز والاعتماد على غيرك[2]

التوكل اصطلاحا: هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس[3]، والمتأمل لتعريف التوكل عند الإمام الجرجانى يجده قريب الصلة جدا بالزهد، والحقيقة أن التوكل على الله تعالى هو مايدفع المؤمن لتحقق الزهد.

وقيل التوكل هو: ترك السعي فيما لا يسعه قدرة البشر[4]، فالله تعالى لايكلف النفس البشرية فوق الطاقة، " لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا" [5]، فبتوكل العبد على ربه تعالى، وبمعرفته لحدود وقدرة نفسه، لايكلف نفسه فوق طاقته، فتحصل له من ربه الرحمة والهداية.

المسألة الثانية: من فوائد التوكل.

من فوائد التوكل: 1/ التوكُل سبب حصول نعمة الله وفضله.

وقد قال تعالى: " ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ "[6] فمعقب هذا الجزاء والحكم لذلك الوصف والعمل بحرف الفاء وهي تفيد السبب فدل ذلك على أن التوكُل هُو سبب هذا الإنقلاب بنعمة من

---

[1] . الدكتور سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، (دار الفكر. دمشق – سورية، الثانية 1408 هـ = 1988 م ، تصوير: 1993 م)386/1

[2] . ينظر: ابن منظور، لسان العرب736/11

[3] . انظر: الجرجانى، التعريفات70/1

[4] . ينظر، السيوطي، معجم مقاليد العلوم فى الحدود والرسوم209/1

[5] . البقرة، الآية: 286

[6] . آل عمران 173،174

الله وفضل وأن هذا الجزاء جزاء على ذلك العمل[1] ، فمن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله فلو كان التوكُل لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة لم يكن المتوكل أقوى من غيره.

2/ التوكل سبب لكفاية الله تعالى عبده ورعايته.

قال تعالى: " وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ " [2]

فمن يتق الله في أموره، ويتوكل عليه وحده، ويفوض الأمور كلها إليه فهو كافيه، فإذا صدق العبد في تقواه أخرجه الله تعالى من بين أشغاله كالشعرة تخرج من بين العجين لا يعلق بها شيء. ويضرب الله تعالى على المتقى سرادقات عنايته، ويدخله في كنف الإيواء، ويصرف الأشغال عن قلبه، ويخرجه من ظلمات تدبيره، ويجرده من كل أمر، وينقله إلى شهود فضاء تقديره[3]، وانظر قوله: «ومن يتوكل على الله فهُو حسبُهُ»، فلم يقل: ومن يتوكل على الله فتوكله حسبه، بل قال: فهو حسبه أي فالله حسبه أي كافيه، فمن يثق بالله ويفوض أمره إليه، فالله كافيه، ويقال: التوكل على الله هو الرضا بقضائه[4]

3/ التوكل سبب لتحقيق وحصول محبة الله تعالى لعبده.

فالله تعالى يحب من عبده أن يمتلأ قلبه رغبة فيما عنده، ويقينا بما لديه، فهو الغني الذى لاتنفذ خزائنه، والقوى الذى لايغالب، والعليم الذى لايخرج عن علمه شيء فى الأرض ولا فى السماء " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ [5]، " ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ

---

[1] . ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : 728هـ)، جامع الرسائل ، المحقق : د. محمد رشاد سالم، (دار العطاء – الرياض، الأولى 1422هـ – 2001م)90/1

[2] . الطلاق، الآية: 3

[3] . القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، (الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الثالثة)600/3

[4] . ينظر : السمعانى، تفسير السمعانى462/5

[5] . غافر، الآية: 19

وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ "[1]، فهو – تبارك وتعالى – يحب من عبده أن يتوكل عليه ويفوض أمره إليه، حتى يظهر ربنا تعالى اثار اسمه المحسن، والكريم ، والمعطى ، والجواد، وغيرها من الأسماء الحسنى والصفات العليا لربنا المعبود – سبحانه وتعالى –

فإذا حقق العبد التوكل حصل له المقصود وهو كفاية الله تعالى له، وحبه كما قال: " **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)** "[2] أى: لا تتكل على رأى مخلوق وكل الأمور إلى، فإنا لا نخليك عن تصريف القبضة بحال، وحقيقة التوكل شهود التقدير، واستراحة القلوب عن كد التدبير، «إن الله يُحبُ المُتوكلين»: يذيقهم برد الكفاية ليزول عنهم كل نصب، وإنه يعامل كلا بما يستوجبه فقوم يغنيهم– عند توكلهم– بعطائه، وآخرون يكفيهم– عند توكلهم– بلقائه، وقوم يرضيهم فى عموم أحوالهم حتى يكتفون ببقائه، ويقفون معه به و له– على تلوينات قدره وقضائه[3]

4/ التوكل سبب دخول الجنة بغير حساب ولاعذاب.

وذلك الفضل الكبير مترتب على توكل العبد على ربه ومعبوده – وحده لاشريك له–، كما جاء فى حديث النبيصلى الله عليه وسلم: " عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب " فتفرق الناس ولم يبين لهم، فتذاكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى

[1]. الأنعام، الآية: 59

[2]. آل عمران، الآية: 159

[3]. ينظر: القشيري، تفسير القيري291/1

ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ فقال: «سبقك بها عكاشة»[1]

5/ التوكل يجلب الرزق للعبد.

كل الناس يدعوا الله تعالى بسعة الأرزاق ووفرتها وطرح البركة فيها، فمن أعظم أسباب حصول الرزق المبارك هو تحقيق التوكل على الله تعالى،

كما قال النبيصلى الله عليه وسلم: " لو أنكُم توكلُون على الله حق توكُله، لرُزقتُم كما تُرزق الطير، تغدُو خماصا وترُوح بطانا" [2]

المسألة الثالثة: درجات التوكل.

وللتوكل ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: التوكل مع الطلب، ومعاطاة السبب على نية شغل النفس بالسبب مخافة، ونفع الخلق، وترك الدعوى[3]

إن صاحب هذه الدرجة يتوكل على الله تعالى، ولا يترك الأسباب، بل يتعاطاها على نية شغل النفس بالسبب، مخافة أن تفرغ فتشتغل بالهوى والحظوظ، فإن لم يشغل نفسه بما ينفعها شغلته بما يضره.

كما جاء عن الحسن البصري" نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل"[4]

لا سيما إذا كان الفراغ مع حدة الشباب، وملك الجدة، وميل النفس إلى الهوى، وتوالي الغفلات. كما قيل:

---

1 . البخاري، صحيح البخاري، باب من لم يرق134/7، حديث صحيح، ينظر: الألباني، الجامع الصغير وزيادته7446/1

2 . سنن الترمذي 4/573 ، قال الشيخ الألباني الحديث صحيح، ينظر نفس المصدر

3 . انظر: ابن القيم، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين129/2

4 . أبو أنس محمد بن فتحي آل عبد العزيز، أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، فتح الرحمن في بيان هجر القرآن، (دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الأولى، 1431 هـ – 2010 م)312/1

إن الشباب والفراغ والجده ... مفسدة للمرء أي مفسده

هذا وقد يقال، أن التوكل ينافي الأخذ بالأسباب؟ فيرد على ذلك الإمام ابن القيم بقوله: " إذا كانت الأسباب مأمورا بها ففيها فائدة أجل من هذه الثلاث. وهي المقصودة بالقصد الأول، وهذه مقصودة قصد الوسائل. وهي القيام بالعبودية والأمر الذي خلق له العبد، وأرسلت به الرسل، وأنزلت لأجله الكتب. وبه قامت السماوات والأرض. وله وجدت الجنة والنار، فالقيام بالأسباب المأمور بها محض العبودية. وحق الله على عبده الذي توجهت به نحوه المطالب. وترتب عليه الثواب والعقاب. والله سبحانه أعلم" [1]

فحاصل وملخص هذه الدرجة: أن العبد يفوض أمره لله تعالى بقلبه فى حصول المقصود والمراد، ولا يقعد ويتكاسل فى أخذه بالأسباب المعينة على تحقيق هذا المراد والمقصود بالجوارح من السعى والبذل والإنفاق إلخ كما قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2]

الدرجة الثانية: التوكل مع إسقاط الطلب، وغض العين عن السبب؛ اجتهادا لتصحيح التوكل، وقمعا لشرف النفس، وتفرغا إلى حفظ الواجبات[3]

قوله إسقاط الطلب. أي من الخلق لا من الحق، فلا يطلب من أحد شيئا، وهذا من أحسن الكلام وأنفعه للمريد، فإن الطلب من الخلق في الأصل محظور، وغايته: أن يباح للضرورة، كإباحة الميتة للمضطر، قال ابن القيم: " ونص أحمد على أنه لا يجب. وكذلك كان شيخنا يشير إلى أنه لا يجب الطلب والسؤال، وسمعته يقول في السؤال: هو ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق الخلق، وظلم في حق النفس[4]

---

1. ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين129/2
2. الملك، أيه 15
3. ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين134/2
4. انظر: المصدر السابق

اعلم أن السؤال من غير الله تعالى جائز مادام المخلوق قادر علي إجابة السائل، ولايظن فيه السائل إلا أنه سبب فى الإجابة وقضاء الحاجة وأن الله تعالى هو الذى يسر المجيب من الخلق لقضاء الحوائب.

لكن الكلام الآن على مقام قلبي ينبغي فيه عدم التعلق بالمخلوق ولكن يجتهد العبد على تخليص قلبه لله تعالى وحده.

وكذلك الأولى بالعبد أن لا يسأل غير الله شيئا وإن كان جائزا، لما فى السؤال من إقامة النفس مقام الذل، وأهانتها بذلك. وكيف يرضى العبد أن يكون شحاذا من شحاذ مثله. فإن من تشحذه فهو أيضا شحاذ مثلك. والله وحده الغني الحميد، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (1)، فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته كرُمت عليه، ورضي عنك، وأحبك.

وأما المخلوق كلما سألته هُنت عليه، وأبغضك، ومقتك، وقلاك، كما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يُسألُ يغضبُ

وقبيح بالعبد المريد: أن يتعرض لسؤال العبيد، وهو يجد عند مولاه كل ما يريده، ويطلبه، ويتمناه.

الدرجة الثالثة: التوكل مع معرفة التوكل، النازعة إلى الخلاص من علة التوكل(2)

فالعبد إذا علم أن ملك المالك – سبحانه– للأشياء هو ملك عزة لا يشاركه فيها مشارك. فيكل كل الأمر له سبحانه وتعالى، فإن من ضرورة العبودية: أن يعلم العبد أن الحق سبحانه هو مالك الأشياء وحده على الحقيقة، وأن ملك غيره هو ملك ناقص، بل هو مُملك من قبل المالك الحق – سبحانه وتعالى–.

فصاحب هذه الدرجة متى قطع الأسباب والطلب، فتوكله فوق توكل من قبله. وهو إنما يكون ذلك بعد معرفته بحقيقة التوكل، فتكون معرفته به وبحقيقته باعثة وداعية إلى تخلصه من علة التوكل.

---

1. فاطر، أيه 15

2. ينظر، ابن القيم ، المدارج136/2

ثم بين المعرفة التي يعلم بها علة التوكل. فقال: أن يعلم أن ملكة الحق للأشياء ملكة عزة؛ أي ملكة امتناع وقوة وقهر، تمنع أن يشاركه في ملكه لشيء من الأشياء مشارك. فهو العزيز في ملكه، الذي لا يشاركه غيره في ذرة منه. كما هو المنفرد بعزته التي لا يشاركه فيها مشارك.

قال الإمام ابن القيم: فالتوكل: محض الاعتماد والثقة والسكون إلى من له الأمر كله. وعلم العبد بتفرد الحق تعالى وحده بملك الأشياء كلها، وأنه ليس له مشارك في ذرة من ذرات الكون: من أقوى أسباب توكله، وأعظم دواعيه، فإذا تحقق ذلك علما ومعرفة. وباشر قلبه حالا: لم يجد بدا من اعتماد قلبه على الحق وحده، وثقته به، وسكونه إليه وحده، وطمأنينته به وحده، لعلمه أن حاجاته وفاقاته وضروراته، وجميع مصالحه كلها: بيده وحده. لا بيد غيره. فأين يجد قلبه مناصا من التوكل بعد هذا؟، فعلة التوكل حينئذ: التفات قلبه إلى من ليس له شركة في ملك الحق. ولا يملك مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض. هذه علة توكله. فهو يعمل على تخليص توكله من هذه العلة[1]

المبحث الرابع: قام الصبر. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الصبر.

الصبر لغة: هو ضدُ الجزع، فصبر يصبرُ، فهو صابر وصبير وصبُور، وتصبر واصطبر واصبر[2]، ومعناه الحبسُ[3]، ومنه قول الله عز وجل:﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ

---

1 . ينظر، ابن القيم ، المدارج136/2

2 . الفيروز ابادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الثامنة، 1426 هـ - 2005 م)422/1

3 . الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: 350هـ)، معجم ديوان الأدب ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، (مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1424 هـ - 2003 م)155/2

عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ً[1]،ويقال: ربط الله على قلبك بالصبر، للمُصاب وغيره، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرا[2]، وصبرته أنا: حبسته.

الصبر اصطلاحا: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب – عليه السلام – بالصبر بقوله:﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [3]، مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ً [4]، فعلمنا أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره، ولئلا يكون كالمقاومة مع الله تعالى[5]، وقيل الصبر: قوة مقاومة الآلام، والأهوال[6]، وقيل الوقوف على البلاء بحسن الأدب، وقيل: التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البليات، وإظهار الغنى عند حلول الفقر بالساحات؛ وقيل: الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى، وقيل: المقام مع البلاء بحسن الصحبة، وقيل: ألا نفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما[7]

المسألة الثانية: الأدلة على وجوب الصبر من القران والسنة.

أولا: من القران.

قال تعالى:﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ً[8]،{واصبر} على ذلك، فإن هذا أعلى أنواع الصبر، وإن عاقبته حميدة، فلا تكسل، ولا تضجر، بل دم على ذلك، واثبت[9]

---

[1] . الكهف، أيه 28

[2] . ينظر: الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب: صبر 706/2

[3] . ص ايه 44

[4] . الأنبياء أيه 83

[5] . ينظر: الجرجاني، التعريفات، باب: الصاد131/1

[6] . ينظر: السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم202/1

[7] . انظر: السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم218/1

[8] يونس، أيه 109

[9] . السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، الأولى 1420هـ -2000 م)375/1

وقوله تعالى:﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [1]،هو تعليل للأمر بالصبر وفيه إيماء إلى أن الصبر على ما ذكر من باب الإحسان[2]

وقال تعالى:﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾ [3]،أمر اللهُ سُبحانهُ رسُولهُ بالصبر فقال: واصبر على ما أصابك من صُنُوف الأذى وما صبرُك إلا بالله أي: بتوفيقه وتثبيته،

والاستثناءُ مُفرغ من أعم الأشياء، أي: وما صبرُك مصحُوبا بشيء من الأشياء إلا بتوفيقه لك، وفيه تسلية للنبي صلى اللهُ عليه وسلم[4]

وقوله تعالى :﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [5]،أي واصبر على أذاهم ولا تبال بهم، وامض لأمر الله ونهيه، وبلغ ما أرسلت به، فإنك بمرأى منا نراك ونرى أعمالك، ونحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك منهم أذى[6]

ثانيا: السنة:

وأما ماجاء فى السنة بالأمر بالصبر، وبيان فضله، وفوائده، والأجر المترتب عليه، فكثير، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " الصبر عند الصدمة الأولى" [7]،معناهُ الصبرُ الكاملُ الذي يترتبُ عليه الأجرُ الجزيلُ لكثرة المشقة فيه وأصلُ الصدم الضربُ في شيء صُلب ثُم استُعمل

---

[1] ، هود ، أيه 115

[2] . ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم246/4

[3] . النحل، أيه 127

[4] . الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الأولى – 1414 هـ)243/3

[5] . الطور، أيه 48

[6] . المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، تفسير المراغي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى، 1365 هـ – 1946 م) 38/27

[7] . البخاري، صحيح البخاري، باب: الصبر عند الصدمة الأولى83/2، الحديث من رواية سيدنا أنس بن مالك – رضى الله عنه–

مجازا في كُل مكرُوه حصل بغتة[1]، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن، يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر" [2]، وفي الحديث الحض على الاستغناء عن الناس بالصبر، والتوكل على الله، وانتظار رزق الله، وأن الصبر أفضل ما أعطيه المؤمن، ولذلك الجزاء عليه غير مقدر، ولا محدود، قال تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [3]

وفى الحديث الصحيح: " يا أيُها الناسُ، لا تتمنوا لقاء العدُو، واسألُوا الله العافية، فإذا لقيتُمُوهُم فاصبرُوا، واعلمُوا أن الجنة تحت ظلال السُيُوف "[4]، فكما أمر النبيصلى الله عليه وسلم بسؤال العافية من الله تعالى ، أمر كذلك بالصبر عند حلول المصيبة أو نزول البلاء، فإن الصبر منحة ربانية ينال بها العبد من الله كل خير وعطية. وغير ذلك من الأحاديث الدالة على فضل الصبر والثواب المترتب عليه الكثير.

المسألة الثالثة: أنواع الصبر وأقسامه.

أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به، أن الصبر الواجب ثلاثة أنواع هي:

أولا: صبر على طاعة الله وأداء الواجبات.

ثانيا: صبر عن المعاصي والمحرمات.

---

[1] . النووى، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،(دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثانية، 1392)227/6

[2] . البخاري، صحيح البخاري، باب: الاستعفاف عن المسألة122/2، الحديث من رواية أبي سعيد الخدري– رضى الله عنه–

[3] . الزمر، أيه 10

[4] . مسلم، صحيح الإمام مسلم، باب: كراهة تمني لقاء العدو1362/3، والحديث من رواية سيدنا عبد الله بن أبي أوفى– رضى الله عنه–

ثالثا: صبر على المصائب والبليات وأقدار الله المؤلمة[1]، فالطريق إلى الله تعالى مليئ بالعوائق؛ لأن النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس؛ ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلابد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى صبر، قال تعالى:﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[2]، وقال جل ثناؤه:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [3]، والصبر على الطاعة لابد فيه من تصحيح النية وتجريد الإخلاص لله وحده – لا شريك له-، كذلك لابد حال صبره فى تأدية الطاعة أن يمتثل الأمر ويؤدية بنشاط دون كسل أو تهاون حتى لايقع فى صفات المنافقين الذين حذر منهم القران بقوله:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[4]

ثم الصبر عن معصية الله تعالى، فإن النفس جبلت على حب الشهوات، قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[5]،ولذلك فالعبد محتاج إلى الصبر عن ملاذ الدنيا وشهوات النفس، فلا يطلق لها العنان لتسترسل وراء شهواتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ويشمل الصبر عن المعصية أمرا آخر وهو: الصبر عن التطلُّع إلى دنيا الآخرين، والاغترار بما ينعمون به من مال وبنين، كما قال تعالى﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[6]، وللعبد المؤمن أن يتسلى عن دنياغيره بمثل قوله

---

[1]. د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، أنواع الصبر ومجالاته – مفهوم، وأهمية، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة، (مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض)20/1

[2]. مريم، أيه 65

[3]. طه، أيه 132

[4]. النساء، أيه 142

[5]. آل عمران، أيه 14

[6]. طه، أيه 131

تعالى:﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ً[1]، وبما جاء عنه صلى الله عليه وسلم: " أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " [2]

أما الصبر على الأقدار المؤلمة، فلأنه لا أحد يسلم من آلام النفس، وأمراض البدن، وفقدان الأحباء، وخسران المال، وشتى ألوان الامتحانات والاختبارات، فالدنيا مفطورة على المشقة والنصب والتعب﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ً[3]، وقوله تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[4]، أى: خلقنا الإنسان فى المشقة والتعب والكدح والنصب لأنه فى الدنيا وهذه صفات هذا الحياة الدنيا.

وهذا ما لا يخلو منه بر ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقى هذه المصائب برضى وطمأنينة مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: " فمن رضى فله الرضا" [5]

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ... لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[6]

فالبلاء هنا عام يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات، ومن لطف الله ورحمته بعباده أنه جعل البلاء: {بشيء من الخوف ... } الآية؛ ليدل على التقليل مراعاة لضعف العباد، وتخفيفا عليهم، ورحمة بهم[7]

---

1. القصص، أيه 83
2. مسلم، صحيح مسلم، باب: الزهد والرقائق2272/4
3. الإنسان، أيه 2
4. البلد، أيه 4
5. الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الثانية، 1395 هـ - 1975 م)601/4، قال الترمذى الحديث حسن غريب، ينظر: نفس المصدر.
6. البقرة، أية 155:157
7. ينظر: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، أنواع الصبر ومجالاته 30/1

والمؤمن يتأمل حال الأنبياء فى هذا المقام ففيه السلوى والتسلية لفؤاده، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1]، فنبي الله أيوب صبرعلى مرضه، وفقد أهله، ونبي الله يعقوب – عليه السلام– صبر على فراق ولده، وكيد أبنائه، ونبي الله يوسف –عليه السلام– صبر على السجن والافتراء والدس والتشويه الذي مارسته امرأة العزيز قبل أن يحصحص الحق، ونبي الله محمد صلى الله عليه وسلم صبر على كسر رباعيته، وشج وجهه، ووضع السلا– سلا الجزور، والنجاسة– على ظهره وغير ذلك من ألوان المصائب والبلايا والمحن والإيذاء من قومه.

[1]. يوسف، أية 111

الفصل الثالث:

الأحوال عند الصوفية.

ويشتمل هذا الفصل على مطلبين:

المطلب الأول: الأحوال، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالأحوال.

أولاً: الأحوال فى اللغة:

جمع حال، ويقصد بها الهيئة التى عليها الإنسان من صفاء أو جفاء. قال التهانوي: " الحال معنى يتصل بالقلب وهو وارد من الله – تعالى، فإن المحبة والشوق والقبض والبسط هي من جملة الأحوال"[1]، وقال الجرجاني: " الحال في اللغة، نهاية الماضي وبداية المستقبل"[2]

ثانيًا: الأحوال فى الاصطلاح:

فهو معنى يرد على القلب بغير تصنع، ولا اجتلاب، ولا اكتساب، من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيئة، وتزول بظهور صفات النفس [3]، وعند أرباب السلوك: الحال هو ما يرد على قلب السالك من موهبة الوهاب ثم يترقى عنهُ. أو يتنزل، كما قيل الحال ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض، وإنما سمي حالا لتحوله ويقابله المقام. وقيل الحال عطاء الله المتعال ذي الجلال الذي يرد على قلب السالك بدُون الكسب.[4]

فالحال هو معنى يتصل بالقلب، وهو وارد من الله – تعالى– وقد يمكن تحصيله بالتكلف ولكنه يذهب[5]، فهوعارض لا يدوم[6]، وهُو تكيف القلب وانصباغه بحُكم الواردات على

---

[1]. ينظر: التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 612/1

[2]. ينظر: للجرجاني، كتاب التعريفات 81/1

[3]. ينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف 134/1

[4]. انظر: للقاضي الأحمد نكري، دستور العلماء 4/2

[5]. انظر: للقاضي الأحمد نكري، دستور العلماء 612/2

[6]. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، (دار السلفية، القاهرة، مصر، الثانية، 1394هـ)27/1

اختلافها، وهو ثمرة العلم، ولا يصفُو حال إلا بصفاء العلم المُثمر لهُ، وعلى حسب شوب العلم يكُون شوبُ الحال.

فإذا صفا الحالُ: شاهد العبد – بصفائه – آثار الحقائق، وهي الشواهدُ فيه، وفي غيره، وعليه، وعلى غيره. ووجد حلاوة المناجاة.

وإذا تمكن في هذه الدرجة: نسي الكون وما فيه من المُكونات[1]، بخلاف المقامات فهى مكاسب، وتحصل ببذل المجهود[2]، كما قال القاضى الأنكري: " إن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتي من عين الجُود، والمقامات تحصل ببذل المجهود"[3]

المبحث الثاني: أنواع الأحوال.

تنقسم الأحوال إلى قسمين كما ورد فى كتب أهل العلم، مثل الفتاوى لشيخ الإسلام، وإن كان تحدث عن أن الأحوال ثلاثة أقسام، حيث قال: الأحوال " ثلاثة " رحماني ونفساني وشيطاني. وما يحصل من نوع المكاشفة والتصرف " ثلاثة أصناف " ملكي ونفسي وشيطاني فإن الملك له قوة والنفس لها قوة والشيطان له قوة وقلب المؤمن له قوة. فما كان من الملك ومن قلب المؤمن فهو حق وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل وقد اشتبه هذا بهذا على طوائف كثيرة فلم يفرقوا بين أولياء الله وأعداء الله بل صاروا يظنون في من هو من جنس المشركين والكفار – أهل الكتاب من وجوه كثيرة – أنه من أولياء الله المتقين.([4])، إلا أنه يمكن حصر الثلاثة فى كلام شيخ الإسلام فى قسمين فقط كما سيأتي.

---

[1] . ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة، 1416 هـ – 1996م)141/3

[2] . ينظر: للشريف الجرجاني، التعريفات 81/1

[3] . الأنكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، (دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الأولى، 1421هـ – 2000م)4/2

[4] . شيخ الإسلام ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م)613/10

القسم الأول: الأحوال الشيطانية.

والمقصود بها تلك الأحوال الناتجة عن سلوك منهجية خاطئة فى التعبد والتقرب إلى الله تعالى من قبل بعض الجهال والعوام، وممن يغلب عليهم لقب المتصوفة ولكن بدون علم أو فهم أو منهج سليم، فيوحي إليهم الشيطان بأحوال يجدون لها أثرا فى قلوبهم، ويظنون معها أنهم على نهج سليم وطريق مستقيم!

والعبد عليه واجبات، ولا بد من أدائها، ولا بد أن يكون كل منهما موافقاً لما جاء به الرسولصلى الله عليه وسلم، فمن أقبل على طريقة النظر والعلم، من غير متابعة للسنة، ولا عمل بالعلم، كان ضالاً غاوياً في عمله، ومن سلك طريق الإرادة والعبادة، والزهد والرياضة من غير متابعة للسنة، ولا علم ينبني العمل عليه، كان ضالاً غاوياً، ومن كان معه علم صحيح مطابق لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بلا عمل به كان غاوياً، ومن كان معه عمل موافق للسنة بدون العلم المأمور به كان ضالاً، فمن خرج عن موجب الكتاب والسنة من هؤلاء وهؤلاء كان ضالاً، وإذا لم يعلم بعلمه، أو عمل بغير علم، كان ذلك فساداً ثانياً، والذين لم يعتصموا بالكتاب والسنة من أهل الأحوال والعبادات والرياضات، والمجاهدات، ضلالهم أعظم من ضلال من لم يعتصم بالكتاب والسنة من أهل الأقوال والعلم، وإن كان قد يكون في هؤلاء من الغي ما ليس فيهم، فإنهم يدخلون في أنواع من الخيالات الفاسدة، والأحوال الشيطانية المناسبة لطريقهم([1])، كما قال تعالى: "ٱ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣ "([2])

والأحوال نتائج الأعمال، فيكون ما يحصل لهم بحسب ذلك العمل، وكثيراً ما تتخيل له أمور يظنها موجودة في الخارج ولا تكون إلا وفي نفسه، فيسمع خطاباً يكون من الشيطان أو من نفسه، يظنه من الله تعالى، حتى أن أحدهم يظن أنه يرى الله بعينه، وأنه يسمع كلامه بأذنه من خارج، كما سمعه موسى بن عمران، ومنهم من يكون ما يراه شياطين وما يسمعه كلامهم وهو

---

[1] . شيخ الإسلام ابن تيمية، ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الثانية، 1411 هـ - 1991 م)351/5

[2] . الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣

يظنه من كرامات الأولياء([1])، وأما الداخلون في الإسلام إذا لم يحققوا التوحيد واتباع الرسول، بل دعوا الشيوخ الغائبين واستغاثوا بهم، فلهم من الأحوال الشيطانية نصيب بحسب ما فيهم مما يرضي الشيطان، وحيث ظهر الكفر والفسوق والعصيان قويت هذه الأحوال الشيطانية، والمشركون الذين لم يدخلوا في الإسلام مثل البخشية والطونية[2] والبُدّى ونحو ذلك من علماء المشركين وشيوخهم الذين يكونون للكفار من الترك والهند والخُطا وغيرهم تكون الأحوال الشيطانية فيهم أكثر، ويصعد أحدهم في الهواء ويحدثهم بأمور غائبة([3])

القسم الثاني: هى الأحوال الربانية.

والمقصود بها، تلك الأحوال والفيوضات التي يهبها الله تعالى على قلب العبد، لاستقامته على الأمر والنهي، فيجد معها لذة الإيمان وصفاء الإخلاص، وسكينة وطمأنينة يلقيها الله تعالى فى قلبه دلالة على صحة عمله. فالعباد إذا تعبدوا بما شرع من الأقوال والأعمال ظاهرا وباطنا، وذاقوا طعم الكلم الطيب، والعمل الصالح الذي بعث الله به رسولهصلى الله عليه وسلم، وجدوا في ذلك من الأحوال الزكية، والمقامات العلية، والنتائج العظيمة([4])

والذي يحصل من أنواع المكاشفة والتصرف " ثلاثة أصناف " ملكي ونفسي وشيطاني فإن الملك له قوة والنفس لها قوة والشيطان له قوة وقلب المؤمن له قوة. فما كان من الملك ومن قلب

---

[1] . انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل و النقل351/5

[2] - ولم أقف على تعريف للبخشية، ولا للطونية، سوى أن شيخ الإسلام ابن تيمية ذكرهم هكذا، في المصدر السابق: التوسل والوسيلة.

[3] . شيخ الإسلام ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، (مكتبة الفرقان – عجمان، الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ – 2001هـ)331/1

[4] . ابن تيمية، ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، (دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، السابعة، 1419هـ – 1999م)106/2

المؤمن فهو حق[1]، أي وحى من الله ونوع إلهام ورزق رزقه الله تعالى وساقه لصاحب الحق ومتبع الرسولصلى الله عليه وسلم وتعاليمه وسنته وهديه.

المطلب الثاني: ذكر بعض الأحوال فى الفكر الصوفي، ويشتمل على أربعة مباحث.

المبحث الأول: حال الإخلاص، ويشتمل على خمسة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الإخلاص.

أولاً: الإخلاص لغة:

الإخلاص في الطاعة: ترك الرياء، وقد أخلصت لله الدين. واستخلص الشيء: كأخلصه. والخالصة: الإخلاص. وخلص إليه الشيء: وصل. وخلص الشيء، بالفتح، يخلص خلوصًا أي صار خالصًا. وخلص الشيء خلاصًا، والخلاص يكون مصدرا للشيء الخالص.

فالمخلصون المختارون، والمخلصون الموحدون. والتخليص: التنجية من كل منشب، تقول: خلصته من كذا تخليصًا أي نجيته تنجية فتخلص، وتخلصه تخلصًا كما يتخلص الغزل إذا التبس([2]). فالإخلاص رأس الإيمان.

ثانيًا: الإخلاص اصطلاحًا:

هو تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته، وتحقيقه: أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه، وخلص عنه يسمى: خالصًا، ويسمى الفعل المخلص: إخلاصًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ ... لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ([3])، فإنما خلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من الفرث والدم. وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هذين[4]

---

[1]. ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، مجموع الفتاوي613/10

[2]. ينظر: ابن منظور، لسان العرب26/7

[3]. النحل: ٦٦

[4]. ينظر: الجرجاني، التعريفات13/1

المسألة الثانية: حكم الإخلاص، وأدلته.

اعلم أن الإخلاص لله تعالى واجبٌ[1]، وذلك بنص الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ ([2])، وكذلك قول الرسول المعصومصلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: " من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راض"([3])

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾، فأخبر الله تعالى أنه لا يتم الإيمان إلا بالإخلاص والعمل([4])

وقال الإمام المقريزي، فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾، قال: فلم يأمر النّاس إلاّ بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها.[5]، فالاخلاص لله في العمل شرط في قبوله فالله لا يقبل من الاعمال ولا يزكي الا ما كان خالصا لله[6]

---

[1]. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الإيمان، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الخامسة، 1416هـ/1996م)17/1

[2]. البينة: 5

[3]. الحديث من رواية سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه: ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي)27/1، وعلق عليه الشيخ الألباني بقوله: ضعيف، ينظر: نفس المصدر.

[4]. العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، (أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الأولى، 1419هـ/1999م)761/3

[5]. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ)، تجريد التوحيد المفيد، المحقق: طه محمد الزيني، (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: 1409هـ/1989م)45/1

[6]. القاضي/حسين بن محمد المهدي – عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، (سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (449) لسنة2009م، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي)240/2

المسألة الثالثة: فضل الإخلاص وثمرته.

للإخلاص فضائل جمة، وثمرات كثيرة، أكتفي بالتعريج على ثلاث فضائل منها فقط لعدم الإطالة.

1- مغفرة الذنوب:

إن مغفرة الذنوب لهى غاية وهدف عظيم لدى جميع المؤمنين، ومن يخشون العذاب الأليم يوم لقاء الله تعالى، ومن منا لم يذنب! لذلك كلنا يرجوا مغفرة ذنبه قبل أن يلقى ربه تعالى، ومن فضل الإخلاص أن الله تعالى يتفضل على المخلصين بمغفرة ذنبهم، فعن محمد بن كعب القرظي، أن رجلًا سرق ناقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء صاحبها، فقال: يا رسول الله، إن فلانًا سرق ناقتي، فجئته، فأبى أن يردها إليَّ، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «اردد إلى هذا ناقته» فقال: والذي لا إله إلا هو ما أخذتها، وما هي عندي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اذهب» فلما قفاه جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم، فأخبره أنه كذب وأنها عنده، فأرسل إليه «فليردها» وأخبره: «أن الله تعالى قد غفر له بالإخلاص»[1]

2- حصول الشفاعة:

من فضائل الإخلاص أيضا، أنه يجلب لصاحبه ويوجب له يوم القيامة شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، فقد ورد أن أبا هريرة رضي الله عنه سأل النبيصلى الله عليه وسلم فقال له: "من أسعد الناس بشفاعتك؟

قال: من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه"[2]، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله[3]

---

1 . الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، المصنف، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، (المجلس العلمي- الهند، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1403)521/8

2 . البخاري، صحيح الإمام البخاري31/1

3 . ابن عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، كتاب التوحيد ، المحقق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، (جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية)52/1

3- النجاة من النار:

ومن ثمرات الإخلاص وأجلها هو خلاص أهل النار منها بسببه وخروجهم منها لفضله وأثره، كما فى الحديث الصحيح الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لأعرف آخر أهل النار خروجا رجل يخرج منها زحفا فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل " قال: " فيقال له: انطلق فادخل الجنة "، قال: " فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل " قال: " فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمن "، قال: " فيتمنى، فيقال له: فإن لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا " قال: " فيقول: أتسخر بي وأنت الملك "، قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه"[1]، قال الطيبي: أراد الذكر بالإخلاص وهو توحيد الله عن إخلاص القلب وصدق النية وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة[2]

المسألة الرابعة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال الإخلاص.

لقد وضع غلاة المتصوفة صورا من الغلو والشطط فى حال الإخلاص، يرفضها الإسلام وينكرها الدليل الشرعي من ذلك، أنهم وضعوا قاعدة عامة مفادها: أنهم يعبدون الله لا خوفا من عذابه، ولاطمعا فى ثوابه، ولكنهم يعبدونه حبًا لذاته.([3])

ولعل أول من أخرج التصوف من دائرة التأثر بالخوف إلى التأثر بالحب،

وأطلق على علاقته بربه لفظ – الحب صراحة- ثم لفظ العشق هي رابعة العدوية، فعن رابعة العدوية اشتهرت أبيات شعرية تقول:

أحبك حبين حب الهوى **** وحبـًا لأنك أهل لذاكا

---

1. مسلم، صحيح الإمام مسلم، باب: أخر أهل النار خروجا174/1
2. المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، (دار الكتب العلمية – بيروت)270/7
3. د. سيف الدين يوسف خشان، مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، ص97-132 ،يناير2019)101

فأما الذي هو حب الهوى **** فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل لـه **** فلست أرى الكون حتـى أراكا

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي **** ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

المسألة الخامسة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

اعلم أن الإخلاص لله تعالى لا يُبيحُ لصاحبه الخروج عن منهج الله وشرعه، والمقياس في مفهوم التجرد لله هو مقياس الشرع، وليس مجرد الرغبة الإيمانية في التجرد، وفي النصوص الشرعيّة أمثلةٌ وأدلةٌ تَدُل على صوابِ هذه الملحوظة في معنى الإخلاص، وتلك النصوص تُعَدُّ ضابطاً يمنع من الشطط والميل عن الصواب، سواء كان هذا الميل إلى الغلوّ أو إلى التقصير ([1])، لذلك رد أهل السنة على مثل هذا الغلو والشطط بأقوال منها:

1- أن الإخلاص له تعريف نص عليه الشرع.

لايحتاج الإخلاص لأن نعرفه بتعاريف أخرى من عند أنفسنا ليس عليها دلالة شرعية، بل تخالف ماثبت من الأدلة الشرعية، فالإخلاص هو التجرد لله تعالى فى الأعمال وطلب الثواب منه وحده تعالى، وليس كما هو عند غلاة التصوف" التعبد لله من غير طلب للثواب"، فهذا القول ينافي ماعليه السلف الصالح والمعتقد الفطري السليم، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلملِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ»، قَالَ: أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ»([2])، فهكذا تجد تصريح من النبيصلى الله عليه وسلم بأن أقر الرجل على طلبه من الله تعالى الثواب على أداء العبادة، والنجاة من النار كذلك، وقال ونحن أيضا نقول ونرجوا مثلك.

2- إن طبيعة الإنسان وفطرته جُبلت على أنه لا يعمل إلا إذا أجر.

---

[1]. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، طريقك الى الإخلاص والفقه في الدين، (الناشر: دار الاندلس الخضراء، الطبعة: الأولى، 1421هـ/ 2001م)20/1

[2]. سنن ابي داوود 1/210 ، قال عنه الإمام الألباني: حديث صحيح، ينظر: نفس المصدر.

فلو نصبت له أجراً عمل، لو قلت له: اعمل ولا أجر لك؛ فترت همته؛ لذلك نصب الله الجنة والنار في باب الترغيب والترهيب، وهذا شيء لا يمتري عليه اثنان، ومن الأدلة الرعية الدالة على صدق ذلك قوله تعالى:" فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ " ([1])، فالله تعالى هو من أمر عباده الذين يرجون لقاءه ويوقنون بذلك اليوم، أن يبذلوا الجهد فى العمل الصالح مع مراعاة الإخلاص فى تلك الأعمال حتى يلاقوا فى الأخرة الجزاء الحسن على أعمالهم. وقال تعالى:" ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ " ([2])، فالله تبارك وتعالى، وعد المتقين على أعمالهم الجنة ترغيبا لهم ويحثهم على البذل والجهد والإخلاص.

3- فعل النبيصلى الله عليه وسلم وهديه.

فكثيرًا ماكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحدث الصحابة الكرام عن الجنة ترغيبا لهم فيها، وكذلك عن الثواب الجزيل الذي أعده الله تعالى لأهل الإيمان فى الأخرة، فهل كان النبيصلى الله عليه وسلم يعلم صحابته عدم الإخلاص فى الأعمال إذ يحدثهم عن الثواب ويرغبهم فى إرادة ذلك!

ومن هنا عُلِمَ أن كلام غلاة المتصوفة، بأن الإخلاص ينافي أن يبتغي الإنسان بعمله ثوابًا من الله على عمله، وأن هذا قادح فى الإخلاص، محض غلو، وفيها مخالفة للشرع ومصادمة للنصوص.

---

[1] . الكهف: ١١٠

[2] . الرعد: ٣٥

المبحث الثاني: حال المحبة، ويشتمل على أربعة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف المحبة.

أولاً: المحبة لغة:

من الحب([1])، وهى الْميل إِلَى الشَّيْء السار ([2])، وهى ضد الكراهة([3])

ثانيًا: المحبة اصطلاحًا:

لقد اختلف العلماء في معنى المحبة على جهتين، الجهة الأولى: أن المحبة ترادف الإرادة بمعنى الميل، فمحبة الله للعباد إرادة كرامتهم وثوابهم على التأبيد. ومحبة العباد له تعالى إرادة طاعته. والجهة الثانية: أن محبتنا لله تعالى كيفية روحانية مترتّبة على تصوّر الكمال المطلق، وأمّا محبتنا لغيره تعالى فكيفية مترتّبة على تخيّل كمال فيه من لذّة أو منفعة أو مشاكلة تخيلا مستمرا، كمحبة العاشق لمعشوقه والوالد لولده والصديق لصديقه([4])

فالمحبة حالة لا يعبر عنها مقالة. وقيل استيلاء المحبوب على السر. وقيل فناء في المحبوب. وقيل استواء الحضور والغيبة، وارتفاع البعد والقرب.([5])

المسألة الثانية: حكم المحبة، وأدلته ذلك الحكم.

المحبة واجبة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يتم إيمان العبد إلا بتحقيقها والإتيان بها، قال شيخ الإسلام: " محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده؛ بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين"([6])

---

[1]. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: 350هـ)، معجم ديوان الأدب ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، (مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: 1424 هـ - 2003 م)50/3

[2]. انظر: المعجم الوسيط151/1

[3]. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، (مؤسسة الرسالة - بيروت)871/1

[4]. انظر: التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم1481/2

[5]. ينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف299/1

[6]. انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى48/10

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ([1])

قال الإمام القرطبي: " وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب.([2])

فان كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة، أما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة.

فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى، ومحبة رسوله – صل الله عليه وسلم

المسألة الثالثة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال المحبة.

لقد تأثرت الصوفية في مفهومها حول المحبة بالفلسفة المانوية[3] التي كانت لها نظرية خاصة حول الحب الإلهي، والتي تنص على أن أرواح الأبرار ذرات نورانية انبثقت من الينبوع الأعظم فهي دائمًا تتجذب إليه وتحن إلى العودة إليه، وتحاول جاهدة الفرار من هياكلها المظلمة، فغايتها الفرار من ربقة عبوديتها والانطلاق من سجنها، ومما يدلل على تأثرهم الواضح بهذه الفلسفة، كلام ابن العربي: "واعلم أن الحب الإلهي من اسمه الجميل والنور، فيتقدم النور إلى أعين الممكنات ينفر عنها ظلمة نظرها إلى نفسها وإمكانها فيحدث لها بصرًا هو بصره، إذ لا

---

[1] . التوبة: ٢٤

[2] . ينظر: القرطبي، تفسير الإمام القرطبي95/8

[3] - هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور, وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام. أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام. ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. وزعم ماني أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا، ولن يزالا. ينظر: الشهرستانى، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي2/49

يرى إلا بها، فيتجلى لتلك العين بالاسم الجميل فتعشق به، فيصير ذلك عين الممكن مظهرا له"([1])

وكذلك غلو بعض المتصوفة فى حال المحبة بالنسبة لشخص المصطفى – صل الله عليه وسلم– فقد غالت الصوفية في تعظيم النبي –صل الله عليه وسلم– وتعظيم صفاته، مما أدى بهم إلى أن خلعوا عليه صفات لا تكون إلا الله تعالى مما أوقعهم في الشرك، والشرك ظلم عظيم. ويتضح ذلك جليا فيما يذكره البوصيري في بردته المشهورة، حيث يقول:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به **** سواك عند حدوث الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي **** إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها **** ومن علومك علم اللوح والقلم

فلاشك أن فى هذا غلو واضح ونأتي بما يبطله من أقوال أئمة السلف فى المسألة القادمة بإذن الله .

المسألة الرابعة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

إذا نظرنا إلى الأبيات السابقة التي أوردتها عن البوصيري نرى فيها الغلو الشديد الذي أدى به إلى أن يتجاوز بالرسول منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية والربوبية؛ حيث توجه إليه بطلب الاستغاثة، ووصفه بأنه هو الذي ينجيه من الكربات ومن هلاك يوم القيامة، وأنه ليس له غيره منج له.([2])، وهذا مقال فيه من الغلو الواضح والذى يخرج بقائله عن مقام التوحيد الذى أمر الله به عباده، وكذلك مقام الوسطية الذى لابد للعبد أن يتحلى بها، ولايخرج عنها إلى الغلو، والشطط.

---

[1] . ينظر: د. خشان، مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية102

[2] . أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث، أصل هذا الكتاب: رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز من شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2000 م)894/2

ويكفينا فى الرد على تلك الصور التى يظهر فيها الغلو واضحًا جليًا فى حال المحبة عند المتصوفة، قول النبي– صل الله عليه وسلم: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين"([1])، وقوله– صل الله عليه وسلم: " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"([2])

قال الخطابي: هذا خاصّ في بعض الأمور دون بعض، وكل شيء أحدث على غير مثال أصل من أصول الدين وعلى غير عبارته وقياسه.([3])، فلاشك أن مايقول به غلاة المتصوفة فى حال المحبة من غلو وشطط فهو من المحدثات التى حذر منها النبي– صل الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: حال الخوف، ويشتمل على خمسة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الخوف.

أولاً: الخوف لغة:

والخوف: ضد الأمن خاف يخاف خوفا([4])، والخوفُ: الذعر، والتخوفُ: التنقُّصُ وخاوفني فلان فخفتُهُ، إذا صرت أشدَّ خوفاً منه([5])، وخاف، يخاف خوفا و خيفة و مخافة، فهو خائف وقوم خوف على الأصل و خيف على اللفظ والأمر منه خف بفتح الخاء، و الخيفة الخوف.([6])

---

[1] . انظر: البخاري، صحيح البخاري92/9

[2] . انظر، أبو داوود، سنن أبي داوود200/4، والحديث قال عنه الإمام الألباني: حديث صحيح، ينظر: نفس المصدر.

[3] . أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (849 – 911 هـ)، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، بعناية: محمد شايب شريف، (دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الأولى، 1433 هـ – 2012 م)1175/3

[4] . ينظر: الأزدي، جمهرة اللغة617/1

[5] . ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986 م)307/1

[6] . ينظر: الرازي، مختار الصحاح98/1

ثانيًا: الخوف اصطلاحًا:

الخوف: توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب([1])، وقيل الخوف حذر النفس من أمور ظاهرها نضرة.

وقال التفتازاني: غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء. وقيل: توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء توقع محبوب كذلك وضده الأمن ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية.([2])

وقيل: ارتعاد القلبب لما عمل من الذنب، وقيل أن يترقب العقوبة ويتجنب عيوبه.

وقيل انزعاج السريرة لما عمل من الجريرة.([3])

المسألة الثانية: حكم الخوف، وأدلته.

الخوف من الله عز وجل من أجل منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ ([4])، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠﴾ ([5])، فأمر جلالة بالخوف منه، وجعل ذلك شرطا في تحقيق الإيمان([6])

ففرض الله تعالى على العباد أن يخافوه فقال: (وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال:" وإياي فارهبون". ومدح المؤمنين بالخوف فقال:" يخافون ربهم من فوقهم"، ولأرباب الإشارات في الخوف عبارات مرجعها إلى ما ذكرنا. قال الأستاذ أبو علي الدقاق: دخلت على أبي بكر بن فورك رحمه

---

[1] . ينظر: الجرجاني، التعريفات101/1

[2] . ينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف161/1

[3] . ينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف161/1

[4] . آل عمران: ١٧٥

[5] . البقرة: ١٥٠

[6] . الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، المفيد في مهمات التوحيد، (دار الاعلام، الطبعة: الأولى 1422هـ- 1423هـ)101/1

الله عائدا، فلما رءاني دمعت عيناه، فقلت له: إن الله يعافيك ويشفيك. فقال لي: أترى أني أخاف من الموت؟ إنما أخاف مما وراء الموت([1])

وقال الإمام ابن عطية فى تفسيره: حقر الله شأنه وقوى نفوس المؤمنين عليهم، وأمرهم بخوفه هو تعالى وامتثال أمره، من الصبر والجلد، ثم قرر بقوله تعالى إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ كما تقول: إن كنت رجلا فافعل كذا.([2])

المسألة الثالثة: فضل الخوف وثمرته.

إن للخوف من الله تعالى فضائل عظيمة، وثمرات جليلة، حيث يمثل الخوف منه سبحانه وتعالى، تعظيمه وهو ركن أحد أركان العبادة التى أمر الله بها عباده.

قال العلامة البربهاري: " واعلم أنه ما عبد الله بمثل الخوف من الله، وطريق الخوف والحزن والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى"([3])

فحال الخوف هو من أعظم وأجلّ الأحوال، لقوله تعالى:ﭧ ﭨ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﭼ ([4])، وقوله تعالى:ﭧ ﭨ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﭼ([5])

فالخوف من أفضل مقدمات الدين وأجلها، وقد ذكره الله في كتابه عن سادات المقربين من الملائكة والأولياء والصالحين([6])، كما قال تعالى: ﭽ ﭨ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﭼ ([7])

---

[1] . انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القران383/4

[2] . انظر، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 544/1

[3] . البربهاري، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى: 329هـ)، شرح السنة106/1

[4] . الرحمن: ٤٦

[5] . النازعات: ٤٠ – ٤١

[6] . عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة، (مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السنة الحادية عشرة– العدد الرابع– 1418هـ/ 1998م)173/1

[7] . النحل: ٥٠

والخوف يمنع العبد عن محارم الله، بل ويورث الخشوع والإخبات والوجل فإنها كل هذه العبادات إنما تنشأ عن الخوف والخشية لله تعالى([1])

المسألة الرابعة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال الخوف.

لغلو المتصوفة فى حال الخوف أمورًا غريبة، وطرائف عجيبة هى فى الحقيقة مخالفة لما ورد عن المصطفى – صل الله عليه وسلم– وأصحابه الكرام، فمن صور الغلو عند غلاة المتصوفة فى حال الخوف:

1- عدم الخوف من النار.

إن الله تعالى أعد الجنة للمطيعين من عباده ورغبهم فيها فقال: ﴿ تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩﴾ ([2]) ، كذلك أعد النار للعاصين من خلقه وحذرهم وخوفهم منها فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ ([3])
لكن غلاة المتصوفة زعموا عدم خوفهم من النار، وأن الخوف منها هو حال العوام والعبيد، لكن هم قد بلغوا من السيادة مايجعلهم لايخافون النار.

فورد القول عن بعضهم: بأن النار الفرار منها لا يليق بالصوفي الكامل لأن الخوف منها طبع العبيد وليس الأحرار. وقال بعضهم أنه لو بصق على النار لأطفأها، وأما من يعتقد بوحدة الوجود منهم فإنه يعتقد أن النار بالنسبة لمن يدخلها تكون عذوبة ونعيمًا لا يقل عن نعيم من يدخل الجنة. وهذه عقيدة ابن عربي كما ذكر ذلك في الفصوص([4])

كذلك من صور الغلو فى حال الخوف عند غلاة المتصوفة،

2- الإفرط فى الخوف والمبالغة فيه:

---

[1] . عبد الله بن صالح الفوزان، حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، (الناشر: مكتبة الرشد)89/1

[2] . التوبة: ٨٩

[3] . التحريم: ٦

[4] . عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، (مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، 1406 هـ – 1986 م)39/1

ومن أطرف وأعجب ما نقلوا في ذلك هو ما حكاه الشعراني عن العلاء بن زياد أنه ربما بكى سبعة أيام متوالية لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا (4)، ولاشك أن فى مثل هذا تعريضا للنفس للهلاك ، وقد نهانا الشرع عن ذلك، وسيأتي بيانه فى المسألة الأتية.

فشدة الصوفية وزيادتهم ، تطرفهم ومغالاتهم في الخوف من الله تعالى ، وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الخصوص: " ومن خاف الله خوفا مقتصداً ، يدعو إلى فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله ، من غير هذه الزيادة فحاله أكمل، وأفضل من حال هؤلاء،

وهو حال الصحابة رضي الله عنهم ([1])

المسألة الخامسة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

اعلم أن الأفضلُ للمسلم الاقتداءُ بالسلف، فإنَّهم كانوا على طريقةٍ قد رآهم عَليها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وأقرَّهم عليها، ووالله ما يَعْدِلُ السلامة شيء، فنسأل اللهَ السلامة، ولا شكَّ أن عنايَتَهم بعدَ تحصيل ما لا بُدَّ منه من العلم إنما كانت بالجهاد، وافتقادِ العامة، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظةِ على أورادهم في التهجد، وقيامِ الليل، ومناقشةِ النفوس وتهذيبها، وذلك أفضلُ مما كان عليه كثيرٌ من المحدثين والفقهاء، والمتصوفة من الإخلال بكثيرٍ من هذه الفضائل الجليلة، والنعوتِ الجميلة التي وردت نصوصُ الآيات القرآنية في وصف المؤمنين بذكرها، ولم يشتغِل السلفُ الصالحون بغيرها([2])، فكل خير فى اتباع من سلف، وكل شر فى ابتداع من خلف مادام يخالف الصريح والصحيح من السنة على صاحبها – الصلاة والسلام–

ولاشك أن الصور التى يغالى فيها بعض المتصوفة فى حال المحبة هى صور مخالفة للشرع ومصادمة للسنة، ومن ذلك قولهم أن الخوف من النار هو حال العامة والبسطاء، وهذا

---

[1] . إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: 1407هـ)، دراسات في التصوف، (دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، الأولى، 1426 هـ - 2005 م)58/1

[2] . ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: 840هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الثالثة، 1415 هـ - 1994 م)422/2

مردود عليهم بأن القران أثبت أن حال الخوف هو حال المقربين من المصطفين من الملائكة والرسل الكرام، كما قال تعالى حكاية عن الملائكة الكرام : "ﵟيَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠ﵞ" ، وقوله تعالى عنهم: "ﵟعَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ﵞ"

فالملائكة الكرام مع ما لهم من فضل وكرامة عند الله تعالى، إلا أنهم يخافون من الله تعالى، ومن عذابه، بل وخوفهم هذا من كمال عبادتهم لله جل وعلا.

كذلك فعل بعضهم، وغلوه فى الخوف من النار حتى يمتنع عن الطعام والشراب أياما، أو يبكى ليالى دون انقطاع حتى تكاد نفسه تزهق، أو أن يحرم على نفسه من الأطعمة والأشربة التى أحلها الله تعالى بحجة الخوف من الله أو من النار فهذا كله من صور الغلو المذموم ، والتى يرفضها الشرع ويأباها العقل والفطرة السليمة، ولا أصرح فى الرد على تلك المغالاة من قوله – صل الله عليه وسلم: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" ([1])

المبحث الرابع: حال الرجاء، ويشتمل على خمسة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الرجاء.

أولاً: الرجاء لغة:

الرجاء، ممدود: من رجا يرجو رجاءً. ورجى يُرجِّي. وارتجى يرتجي. وترجى يترجَّى. ترجِّياً، وهو نقيض اليأس([2])، والاثنان: رجوان، والجميعُ: أرجاء، و ما أرجو، أي: ما أبالي، ومنه قول الله عز وجل: " ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً "، أي: لا تخافون ولا تُبالون. وقطع الرجاء من رحمة الله يسمى قنوطًا([3])

---

[1] . البخاري، صحيح البخاري107/9

[2] . أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)176/6

[3] . محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى، 2001م)306/12

ثانيًا: الرجاء اصطلاحًا:

هو بمعنى: تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل.([1])، وقيل هو بمعنى: ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما([2])، وقيل: هو سرور الفؤاد بحسن الميعاد، وقيل تطلع الإتعام مع ترفع الانتقام([3])

المسألة الثانية: حكم الرجاء، وأدلته.

والرجاء حكمه واجب، ولايكتمل إيمان عبد إلا به، فهو والخوف يكملان للعبد إيمانه، ويعيش المؤمن بينهما متقلبًا حتى يلقى الله تعالى.

فالرجاء والخوف عند أهل السنة والجماعة من أركان العبادة، وهما متلازمان، فمن كان يرجو ما عند الله من الخير، فهو يخاف ما لديه من الشر، كالعكس، وعلى تلازمهما دلت النصوص الشرعية([4])، " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ " ([5])
فالله تعالى يأمر عباده بأن يرجوه وحده على ألسنة الرسل الكرام.

والرجاء والخوف عند العبد كجناحي طائر، قد يميل بأحد جناحيه لمصلحة، شريطة أن لا يفقد التوازن، وعلماء أهل السنة والجماعة يقولون: "ينبغي للإنسان وهو في أيام صحته أن يغلب الخوف دائما على الرجاء، وأن يكون خوفه أغلب من رجائه. فإذا حضره الموت غلب الرجاء في ذلك ليطغى على الخوف، فلا ينبغي للمؤمن أن يموت إلا وهو يحسن الظن بالله جل وعلا([6])

والحكمة الإلهية تقتضي أن يكون العبد معلقا بين الرجاء وبين الخوف اللذين بهما تتم العبودية، وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف بإحاطة علم الله بالكل وجريان

---

[1] . انظر: الجرجاني، التعريفات109/1

[2] . انظر: المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**174/1

[3] - ينظر: المصدر نفسه

[4] . الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، المفيد في مهمات التوحيد، (دار الاعلام، الطبعة: الأولى 1422هـ- 1423هـ)41/1

[5] . العنكبوت: ٣٦

[6] . انظر: الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، المفيد في مهمات التوحيد41/1

قضائه وقدره في الكل، ولهذا الإشكال سألت الصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقالوا: أرأيت أعمالنا هذه أشيء قد فرغ منه أم أمر يستأنفه؟ فقال: بل شيء قد فرغ منه. فقالوا: ففيم العمل إذن؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، فانظر إلى لطائف هذا الحديث فإنه عليه السلام– علقهم بين الأمرين فربهم سابق القدر المفروغ منه ثم ألزمهم العمل الذي هو مدرجة التعبد، فلم يعطل ظاهر العمل بما يفيد من القضاء والقدر، ولم يترك أحد الأمرين للآخر، وأخبر أن فائدة العمل هو المقدر المفروغ منه فقال: «كل ميسر لما خلق له»([1])، فالمؤمن بين الخوف والرجاء يرجو فضل الله في غفران الكبائر ويخاف عدله في العقوبة على الصغائر لأن المغفرة مضمون المشيئة([2])

المسألة الثالثة: فضل الرجاء وثمرته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال: قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي)، قال ابن الجوزي أي في الرجاء وأمل العفو، وقال القاري في «شرح الحصن الحصين: ويؤيده ما أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «أمر الله بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت وقال: أما وا يا رب إن كان ظني بك لحسن فقال الله: ردوه أنا عند ظن عبدي بي"([3])، ومعنى أنا عند ظنه بي، أي: إحسان الظن به، أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه.

فالرجاء من العبد فى ربه تعالى يفتح له باب الأمل والطمع فى حصول رحمته وبلوغ مغفرته، والله تعالى أخبر عن نفسه بأنه عند ظن العبد به، فإذا ظن العبد فى ربه خيرا وجد الله عنده، وهذا من أعظم فضائل الرجاء.

---

[1] . الخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة – 1420 هـ)264/5

[2] . الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، (دار الكتب العلمية – بيروت)53/1

[3] . محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: 1057هـ)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الرابعة، 1425 هـ – 2004 م)، باب: فضل الرجاء352/4

قال تعالى:" ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣"([1])

فالله تبارك وتعالى، يفتح لعباده الرجاء فيه والطمع فى ثوابه ومغفرته بمثل هذه الأية المباركة، حيث نهى عن القنوط واليأس من رحمته وأن تنال العبد مهما أسرف على نفسه من الذنوب والعصيان، لأن فضل الله واسع وهو تعالى يحب من عبده الرجوع إليه والالتجاء له والتوكل عليه.

المسألة الرابعة: بعض صور الغلو عند المتصوفة فى حال الرجاء.

بما أن الرجاء يعد أحد جناحي السالك إلى ربه حال عبادته، والجناح الآخر هو الخوف، فالعبد يحلق إلى الله تعالى بهذين الجناحين معا، فإذا كسر أحدهما وقع وسقط ولابد.

وغلاة المتصوفة قد غالوا فى حال الرجاء كما سبق وبينا غلوهم فى حال الخوف، فمن مظاهر غلوهم فى حال الرجاء قولهم باستغنائهم فى عبادتهم عن طلب الجنة أو الفوز بها، وأنهم لايطمعون فى ذلك، وأن الطمع فى هذا يعد قدحا فى الإخلاص بالنسبة للمتصوف المريد الله تعالى.

المسألة الخامسة: رد أهل السنة على هذا الغلو.

قد تبين من النصوص الصريحة على أن الصوفية الذين يقولون: ((لا مقصود إلا الله)) ، ويزعمون أنهم لا يعبدون الله رجاء الجنة وخوفًا من النار على ضلال مبين، وأنهم لم يعبدوا الله تعالى لخلو أعمالهم من الخوف والرجاء.([2])، فالرجاء والخوف داخلان في مفهوم العبادة. فدل هذا على ضلال الصوفية الذين يقولون:لا مقصود إلا الله، ويقولون: إن الذين يعبدون الله رجاء الجنة وخوفًا من النار، فهم كالأجير يطلب الأجرة. وقد تقدم الرد عليهم بكلام الحنفية. والحقيقة

---

[1] . الزمر: ٥٣

[2] . أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: 1420هـ)، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد، (دار الصميعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية)، الأولى – 1416 هـ – 1996 م)328/1

أن هؤلاء الصوفية الذين يقولون: نحن نعبد الله بالحب فقط لا خوفًا منه ولا رجاء منه ولا طمعًا في الجنة ولا مخافة من النار، هم من الزنادقة الملاحدة الحلولية الاتحادية.([1])، فالرسل الكرام وأتباعهم يعبدون ربهم حبًا له تعالى، ورجاء لرحمته وفضله وثوابه، وخوفًا من سخطه وعقابه، فيعبدونه بكل هذه الأحوال والمقامات، أما أهل الضلال فمنهم من يعبده بالحب فقط؛ كجهلة الصوفية وغلاتِهم، ويستخفون بمقام الرجاء والخوف.([2])

قال الإمام البغوي عند تفسير قوله تعالى: " **ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗامثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣** " ([3])، وحقيقة المعنى أن قلوبهم تقشعر من الخوف وتلين عند الرجاء.([4])

فقول غلاة الصوفية: إنا لا نعبده خوفاً وطمعاً، وإنما نعبده حباً لذاته، والله تعالى وصف أنبياءه الكرام بالرغبة والرهبة وهو الخوف والطمع، فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾([5]) فبعد أن ذكر الأنبياء عليهم السلام ومنهم: موسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب وزكريا قال بعد ذلك: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}. وقال عن عباده المتقين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ([6]) وقال سبحانه في وصف عباده: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾([7]) فكيف يقول الصوفية بعد هذا لا حاجة إلى الخوف والرجاء وإنا نعبد الله حباً لذاته؟! والله تعالى ذكر أقسام العبادة في

---

[1] . انظر: الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية342/1

[2] . عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، شرح العقيدة الطحاوية، (دار التدمرية، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م)224/1

[3] . الزمر: ٢٣

[4] . محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي –بيروت، الأولى ، 1420 هـ)85/4

[5] . الأنبياء:90

[6] . السجدة:16

[7] . الإسراء:57

الفاتحة فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، هذه المحبة، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وهذه فيها صفات الرجاء، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهذه فيها صفات الخوف.([1])

---

[1] . عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، شرح تفسير ابن كثير، (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية).

الفصل الرابع:

من مصادر الاستدلال عند الصوفيه.

إن معرفة مصادر التلقى والاستدلال بمثابة الميزان الذى نستطيع من خلاله الحكم بالحق أو الضلال على هذه الفرق والطوائف، كذلك التفرقة بين مالهم، وماعليهم. وفى هذا الفصل مباحث:

المبحث الأول: الوجد، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: تعريف الوجد:

الوجد فى اللغة: يأتِ الوجد بمعنى الحب.

قال ابن دريد: " الوجد: الْحبّ وجدت بِهِ أجد وجدًا، وَوجدت الشَّيْء أَجِدهُ وجدانًا.

وَمثل من أمثالهم: فَأَيْنَ حلاوة الوجدان." [1]، وقال ابن مالك: " الوجد: مصدر وجد عَلَيْهِ: حزن، وبالمرأة: هويها" [2] أي أحبها.

الوجد اصطلاحًا: هوما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل: هو بروقٌ تلمع، ثم تخمد سريعًا." [3]، وقال السيوطي: " الوَجْدُ: جاذب الْقلب من فزع أَو غم، أَو رُؤْيَة معنى من أَحْوَال الْآخِرَة، أَو كشف حَاله بَين الله تَعَالَى وَبَين العَبْد، وَقيل: لَهب ينشر فِي الْأَسْرَار تضطرب الْجَوَارِح طَربا، أَو حزنا عِنْد ذَلِك الْوَارِد، وَقيل: هُوَ شارات الْحق بالترقي إِلَى مقَام مشاهداته." [4]، وقال الكلاباذى: " قَالَ النوري: الوجد لهيب ينشأ فِي الْأَسْرَار ويسنح عَن الشوق فتضطرب الْجَوَارِح طَربا أَو حزنا عِنْد ذَلِك الْوَارِد. وَقَالُوا الوجد مقرون بالزوال والمعرفة ثَابِتَة بِاللَّه تَعَالَى لَا تَزُول، وأنشدونا للجنيد:

---

[1] . ينظر: جمهرة اللغة، الأزدي 452/1

[2] . الجياني، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، إكمال الأعلام بتثليث الكلام، المحقق: سعد بن حمدان الغامدي، (جامعة أم القرى – مكة المكرمة – المملكة السعودية، الأولى، 1404هـ 1984م)748/2

[3] . ينظر: التعريفات، للجرجاني250/1

[4] . ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي 211/1

الوجد يطرب من فِي الوجد رَاحَته * والوجد عِنْد حُضُور الْحق مَفْقُود

قد كَانَ يطربني وجدي فاشغلني * عَن رُؤْيَة الوجد مافي الوجد مَوْجُود(1)

المسألة الثانية: ما جاء عن العلماء في كون(الوجد) مصدرًا من مصادر الاستدلال عند الصوفية.

قال الإمام الغزالى: " فان قيل قد أثبتم بالبرهان أَن النَّفس من المفارقات فَكيف تنْتَفع بِالْبدنِ وَمَا فِيهِ من الْحس والخيال وَكَيف تكتسب الْعُلُوم بِوَاسِطَة قُوَّة التخيل وَتحصل الْفَضَائِل وتكتسب الرذائل بِوَاسِطَة القوى الْبَدَنِيَّة وَكَيف تُؤثر الطَّاعَات والمواظبة على الْعِبَادَة فِي التَّنْوِير والتصفية وَكَيف تُؤثر الْمعاصِي والانهماك فِي الشَّهَوَات حَتَّى يرتقي مِنْهَا ظلمات إِلَى النَّفس فيبْطل بهَا الاستعداد الفطري؟ قُلْنَا هَذَا سُؤال شرِيف والانفصال عَنهُ أشرف مِنْهُ وَإِعْطَاء الْبُرْهَان فِي ذَلِك مُشكل وَإِنَّمَا الطَّرِيق فِيهِ الوجدان والعرفان يَقِينا وَالنَّفس خلقت بالفطرة مستعدة للعلوم والعلوم تحصل فِيهَا بالتدريج فَلَا بُد من اسْتِعْمَال الْفِكر والخيال كَمَا قدمنَا وكما نذْكر بعد ذَلِك من انْتِفَاع النَّفس بالقوى."(2)

وقال أيضًا: " وَبِهَذَا يتَبَيَّن سر أنوار إتباع رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله فان لَهُ خاصية عَظِيمَة فِي تنوير الْقلب فان الْقلب إِنَّمَا يتجلى فِيهِ جلايا الْحَقَائِق بِأَن يكون معدلا مصقلا منورا وتصقيله بالتوجه إِلَى جناب الْقُدس وبالأعراض عَن مُقْتَضى الشَّهَوَات وتعديله بالأخلاق الْحَسَنَة الْمُوَافقَة للسّنة وتنويره بِالذكر ووظائف الْعِبَادَات وَلَا دَلِيل أقوى فِي هَذَا من التجربة والوجدان فَكل من لَيْسَ لَهُ سَبِيل اليه بالعرفان وَلَا بالوجدان فَيَنْبَغِي ان يصدق بِهِ فانه دَرَجَة الْإِيمَان وَالله الْمُوفق. "(3)، قال بديع الزمان النورسي: " الْبُرْهَان الرَّابِع الوجدان الْحَيّ

---

1 . الكلاباذى، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ت د)113/1

2 . الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، معارج القدس في مدراج معرفة النفس، (دار الآفاق الجديدة – بيروت، الثانية، 1975، ت د)74/1

3 . ينظر: معارج القدس في مدراج معرفة النفس، لأبي حامد الغزالى75/1

أَو الْفطْرَة الشاعرة الَّذِي يمثل البرزخ ونقطة اتِّصَال عالمي الْغَيْب وَالشَّهَادَة فالفطرة أَو الوجدان نَافِذَة إِلَى الْعقل ينشر مِنْهَا شُعَاع التَّوْحِيد"[1]

قال ابن قيم الجوزية: " فعذاب الحجاب(حجاب العبديوم القيامة عن رؤية ربه) من أَعظم أَنواع العذاب الذى يعذب به أَعداءَه، ولذة النظر إِلى وجه الله الكريم أَعظم أَنواع اللذات التى ينعم بها أَولياؤه، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه والدنو منه وقربه. وهذان الأَصلان ثابتان بالكتاب والسُّنَّة، وعليهما أَهل العلم والإيمان، ويتكلم فيهما مشايخ الطريق العارفون وعليهما أَهل السُّنَّة والجماعة، وهما من فطرة الله التى فطر الناس عليها، ويحتجون على من ينكرهما بالنصوص والآثار تارة وبالذوق والوجد وبالفطرة تارة وبالقياس والأَمثال تارة. " [2]، وقال ابن الآلوسي:

" يا عاذلى أنت تنهاني وتأمرني *** والوجد أصدق نهاء وأمار

فإن أطعك وأعص الوجد عدت عمي *** عن العيان إلى أوهام أخبار[3]

وقال أيضًا: " وإذا رجعنا إلى الوجدان فلا نشك في ان الله تعالى خصوصية مع العرش ليست مع غيره من مخلوقاته، ولا تجد عبارة في ذلك أفصح وأقرب من الاستواء على العرش، كما أنا لا نجد عبارة في أنكشاف المسموعات والمبصرات افصح من السمع والبصر. والله أعلم بحقائق الأمور." [4]

---

[1] . النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي (المتوفى: 1379هـ)، حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي، (دار سوزلر للطباعة والنشر، الثانية، 1988م)157/1

[2] . ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، (دار السلفية، القاهرة، مصر، الثانية، 1394هـ)59/1

[3] . الآلوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: 1317هـ)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، قدم له: علي السيد صبح المدني – رحمه الله –، (مطبعة المدني، 1401 هـ – 1981 م)114/1

[4] . ينظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للآلوسي

وقال السفاريني: " والطريق كالخبر لا ينحصر في الثلاثة بل ثم أشياء أخر مثل، الوجدان والحدس والتجربة ونظر العقل بمعنى ترتيب المباديء والمقدمات." [1]

قال الخادمي: " مِثْلَ هَذِهِ الْوِجْدَانِيَّاتِ تَصْلُحُ حُجَّةً فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَطَالِبِ الظَّنِّيَّةِ عَلَى أَنَّ الْعِلَّةَ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْجَمِيعِ" [2]

المسألة الثالثة: أقوال العلماء من أهل السنة على إبطال كون (الوجد) مصدرًا من مصادر الاستدلال.

قال ابن قيم الجوزية: " أَنَّ الذَّوْقَ وَالْحَالَ وَالْوَجْدَ: هَلْ هُوَ حَاكِمٌ أَوْ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، فَيُحْكَمُ عَلَيْهِ بِحَاكِمٍ آخَرَ، وَيَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ؟ فَهَذَا مَنْشَأُ ضَلَالِ مَنْ ضَلَّ مِنَ الْمُفْسِدِينَ لِطَرِيقِ الْقَوْمِ الصَّحِيحَةِ، حَيْثُ جَعَلُوهُ حَاكِمًا، فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ فِيمَا يَسُوغُ وَيَمْتَنِعُ، وَفِيمَا هُوَ صَحِيحٌ وَفَاسِدٌ، وَجَعَلُوهُ مَحَكًّا لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَنَبَذُوا لِذَلِكَ مُوجَبَ الْعِلْمِ وَالنُّصُوصِ، وَحَكَّمُوا فِيهَا الْأَذْوَاقَ وَالْأَحْوَالَ وَالْمَوَاجِيدَ، فَعَظُمَ الْأَمْرُ، وَتَفَاقَمَ الْفَسَادُ وَالشَّرُّ، وَطُمِسَتْ مَعَالِمُ الْإِيمَانِ وَالسُّلُوكِ الْمُسْتَقِيمِ، وَانْعَكَسَ السَّيْرُ، وَكَانَ إِلَى اللَّهِ فَصَيَّرُوهُ إِلَى النُّفُوسِ، فَالنَّاسُ الْمَحْجُوبُونَ عَنْ أَذْوَاقِهِمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَهَؤُلَاءِ يَعْبُدُونَ نُفُوسَهُمْ." [3]

وقال أيضًا: " وَقَالَ أَصْحَابُ الذَّوْقِ وَالْكَشْفِ وَالْوَجْدِ: إِذَا تَعَارَضَ الذَّوْقُ وَالْوَجْدُ وَالْكَشْفُ وَظَاهِرُ الشَّرْعِ: قَدَّمْنَا الذَّوْقَ وَالْوَجْدَ وَالْكَشْفَ، فَجَعَلَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ قُبَالَةَ دِينِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ طَاغُوتًا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ، فِيَا لَهَا مِنْ بَلِيَّةٍ، عَمَّتْ فَأَعْمَتْ، وَرَزِيَّةٍ رَمَتْ فَأَصَمَّتْ، وَفِتْنَةٍ دَعَتِ الْقُلُوبَ فَأَجَابَهَا كُلُّ قَلْبٍ مَفْتُونٍ، وَأَهْوِيَةٍ عَصَفَتْ. فَصُمَّتْ مِنْهَا الْآذَانُ، وَعَمِيَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ. عُطِّلَتْ لَهَا – وَاللَّهِ – مَعَالِمُ

---

[1] . السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي(المتوفى: 1188 هـ)، لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية «شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية»، دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الأولى، 1415 هـ – 1994 م)153/1

[2] . الخادمي، بريقة محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (المتوفى: 1156هـ)، محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، (مطبعة الحلبي، بدون طبعة، 1348هـ)294/1

[3] . ينظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية492/1

الْأَحْكَامِ." [1]، وقال أبو سهل المغراوي: " وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر أو قد حل فيه فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه وابرك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه." [2]

المسألة الرابعة: ترجيح الباحث.

هذا ويترجح لدى الباحث وفق القواعد الأصولية التى تنص على أن الجمع بين النصوص للعمل بكل ماورد إذا أمكن ذلك، أولى من العمل ببعضها وإهمال البعض الآخر.

فنقول وبالله التوفيق: أن الوجد عند المتصوفة، وإن كان مصدر من مصادر التلقي، فلايقبل ذلك إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة والأصول العامة الموافقة للشريعة الإسلامية، فما وافق مما جاء عن طريق الوجد ما فى الوحيين، فلامانع من جهة الشرع ولا العقل من قبوله، والعمل به، وما خالف مما جاء عن طريق الوجد ما فى الكتاب والسنة وعمل علماء الأمة من أهل السنة، فلايقبل.

قال الإمام زروق وهو من أئمة الصوفية: " ولم يقم لنا الدليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالها إلا بعد عرضها، وبذلك وصى شيوخهم، وأن ما جاء به صاحب الوجد والذوق من العلوم والأحوال والفهوم يعرض على الكتاب والسنة، فإن قبلاه، وإلا لم يصح" [3]

وقال الإمام محمد الخضر حسين: " والوجد، شرط أصحابه أن يوافق قرآناً وسنّة. قال سهل بن عبد الله التستري، وهو من أساطين الطائفة: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنّة فهو باطل. وقال أبو سليمان الداراني، وهو من أكابرهم أيضاً: إني لتمرُّ بي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين من الكتاب والسنّة. فإذا فعل بعض من ينتمي للصوفية شيئاً، وقال: إنه عرفان من حق، ولم يشهد له كتاب أو سنّة، أو سيرة السلف الصالح، تركناه جانباً. ومن هنا قال العلماء:

---

[1] . ينظر: المصدر نفسه 69/2

[2] . المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ، (المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، الأولى، ت د)259/8

[3] . رزوق، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: 899هـ)، عدة المريد الصادق، المحقق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، (دار ابن حزم، الأولى، 1427 هـ - 2006 م)47/1

المتشابه لا يكون إلا في كلام الشارع ليقضى فيه بالمحكم لحكمة يعلمها الشارع، وأما المخلوق، فيحكم على كلامه بما يقتضيه لفظه الصريح العربي؛ حتى لا يدعي المخلوق يلحد في كلامه أنه من قبيل المتشابه." [1]

قال الإمام الشاطبي: " ولا علينا إذا قَامَ لَنَا الدَّلِيلُ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّرْعِ، وَلَمْ يَقُمْ لَنَا دَلِيلٌ عَلَى اتِّبَاعِ أَقْوَالِ الصُّوفِيَّةِ وَأَعْمَالِهِمْ إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهَا، وَبِذَلِكَ وَصَّى شُيُوخُهُمْ، وإن كل مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبُ الْوَجْدِ وَالذَّوْقِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْعُلُومِ وَالْفُهُومِ، فَلْيَعْرِضْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ قَبِلَاهُ صَحَّ، وَإِلَّا لَمْ يَصِحَّ، فَكَذَلِكَ مَا رَسَمُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَوْجُهِ الْمُجَاهِدَاتِ، وَأَنْوَاعِ الالتزامات" [2]

المبحث الثاني: الذوق، وهو من مصادر الاستدلال عند الصوفية، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الذوق

الذوق لغة: مصدر ذُقْتُ الشيءَ أذوقه ذَوْقاً، فَهُوَ مَذُوق وَأَنا ذائق. وَيُقَال: مَا ذقت ذَواقاً، أَي مَا تطعّمت شَيْئا، وَكثر ذَلِك حَتَّى قَالُوا: فلَان حسن الذَّوْق للشّعر، إِذا كَانَ مطبوعاً عَلَيْهِ." [3] قال أبو منصور الأزهري: " قَالَ اللَّيْث: الذَوْق: مصدرُ ذاقَ يذوقُ ذَوْقاً ومَذاقاً وذَوَاقاً. فالذَّوَاق والمَذاق يكونَانِ مصدَرَين، ويكونانِ طَعْماً، كَمَا تَقول: ذَواقهُ ومذاقُه طيِّبٌ. وَتقول: ذُقْتُ فلَانا وذُقْتُ مَا عِنْده؛ وَكَذَلِكَ مَا نَزل بِإِنْسَان مِن مَكْرُوه فقد ذاقَه." [4]

الذوق اصطلاحًا: هو قوة منبثة من العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية في الفم بالمطعوم ووصولها إلى العصب، والذوق في معرفة الله: عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره." [5]

---

[1] . ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، الإمام محمد الخضر حسين(2/2)/68

[2] . الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، الاعْتِصَام، (دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الأولى، 1429 هـ - 2008 م)367/1

[3] . ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي700/2

[4] . ينظر: تهذيب اللغة، للهروي الأزهري203/9

[5] . ينظر: التعريفات ، للجرجاني107/1

قال السيوطي: " الذَّوْقُ هو: نتيجة الكشوفات بورود الواردات." [1]

وقال أبو البقاء: " والذوق والطبع قد يطلقان على الْقُوَّة المهيئة للعلوم من حَيْثُ كمالها فِي الْإِدْرَاك بِمَنْزِلَة الإحساس من حَيْثُ كَونهَا بِحَسب الْفطْرَة، وَقد يخص الذَّوْق بِمَا يتَعَلَّق بلطائف الْكَلَام، لكَونه بِمَنْزِلَة الطَّعَام اللذيذ الشهي لروح الْإِنْسَان الْمَعْنَوِيّ" [2]

وجاء فى دستور العلماء للقاضي الأحمد نكري" والذوق عِنْد أَرْبَاب السلوك نور عرفاني يقذفه الله تَعَالَى فِي قُلُوب أوليائه يفرقون بِهِ بَين الْحق وَالْبَاطِل من غير أَن ينْقل ذَلِك من كتاب أَو غَيره." [3]

المسألة الثانية: ماثبت عن العلماء على كون(الذوق) مصدرًا من مصادر الاستدلال عند الصوفية.

قال المناوي: " الذوق عند الصوفية عبارة عن: نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ولا غيره" [4]

وجاء فى الموسوعة الميسرة: " الذوق العام الذي ينظم جميع الأحوال والمقامات، ويرى الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال إمكان السالك أن يتذوَّق حقيقة النبوة، وأن يدرك خاصيتها بالمنازلة. أما الذوق الخاص فتتفاوت درجاته بينهم حيث يبدأ بالذوق ثم الشرب." [5]
وجاء أيضًا: " الذوق: ويعرِّفونه بأنه تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة في الكرامات وخوارق العادات، ويعدونه طريق الإيمان بالله والقرب منه والعبودية له. لذلك يفضل الصوفية العلوم التي تأتي عن طريق الذوق على العلوم الشرعية من الفقه والأصول وغير ذلك، إذ يقولون: علم الأذواق لا علم

---

[1] . ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي212/1

[2] . الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، (مؤسسة الرسالة – بيروت، ت د 462/1(

[3] . ينظر: دستور العلماء، لأحمد نكري90/2

[4] . ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي172/1

[5] . الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرابعة، 1420 هـ)262/1

الأوراق، ويقولون: إن علم الأحوال يتم عن طريق الذوق، ويتفرع منه علوم الوجد والعشق والشوق" [1]

قال ابن أبي العز: " وَقَالَ أَصْحَابُ الذَّوْقِ: إِذَا تَعَارَضَ الذَّوْقُ وَالْكَشْفُ، وَظَاهِرُ الشَّرْعِ قَدَّمْنَا الذَّوْقَ وَالْكَشْفَ."[2]

قال الشيخ سفر الحوالى: " مَذْهَب طَائِفَة مِنْهُم وهم صوفيتهم- كالغزالي والحامي- فِي مصدر التلقي هُوَ تَقْدِيم الْكَشْف والذوق على النَّص وَتَأْوِيل النَّص ليوافقه وَقد يصححون بعض الْأَحَادِيث ويضعفونها حسب هَذَا الذَّوْق" [3]

المسألة الثالثة: ماورد عن علماء أهل السنة فى إبطال كون الذوق مصدرًامن مصادر الاستدلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وَكَذَا مَنْ نَصَبَ الْقِيَاسَ أَوْ الْعَقْلَ أَوْ الذَّوْقَ مُطْلَقًا مِنْ أَهْلِ الْفَلْسَفَةِ وَالْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ أَوْ قَدَّمَهُ بَيْنَ يَدَيْ الرَّسُولِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالرَّأْيِ وَالْفَلْسَفَةِ وَالتَّصَوُّفِ؛ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ نَصَبَ شَخْصًا. فَالِاتِّبَاعُ الْمُطْلَقُ دَائِرٌ مَعَ الرَّسُولِ وُجُودًا وَعَدَمًا"[4]

قال الشيخ المغراوي: " إذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر أو قد حل فيه فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه وابرك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه." [5]

---

[1] . الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرابعة، 1420 هـ)262/1 278/1

[2] . ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، (وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الأولى - 1418 هـ)172/1

[3] . سفر بن عبد الرحمن الحوالي، منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني، (الدار السلفية، الأولى1407 هـ - 1986 م)35/1

[4] . ابن تيمية، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م)71/19

[5] . ينظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، للمغراوي259/8

المسألة الرابعة: ترجيح الباحث.

بعد هذا العرض الموجز لمسألة : الذوق وكونه مصدرًا من مصادر الاستدلال عند الصوفية. وعرض الأقوال التى تؤيد ذلك، والأقوال التى تضاده.

يترجح لدى الباحث: أن الذوق عند الصوفية، وإن كان مصدرًا من مصادر التلقي، فلايقبل ذلك إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة والأصول العامة الموافقة للشريعة الإسلامية، فما وافق مما جاء عن طريق الوجد ما فى الوحيين، فلامانع من جهة الشرع ولا العقل من قبوله، والعمل به، وما خالف مما جاء عن طريق الوجد ما فى الكتاب والسنة وعمل علماء الأمة من أهل السنة، فلايقبل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأصل ضلال من ضل هُوَ بِتَقْدِيم قِيَاسه على النَّص الْمنزل من عِنْد الله وَتَقْدِيم اتِّبَاع الْهوى على اتِّبَاع أَمر الله فَإِن الذَّوْق والوجد وَنَحْو ذَلِك هُوَ بِحَسب مَا يُحِبهُ العَبْد ويهواه فَكل محب لَهُ ذوق وَوجد بِحَسب محبته وهواه.فأهل الْإِيمَان لَهُم من الذَّوْق والوجد مثل مَا بيّنه النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، بقوله فِي الحَدِيث الصَّحِيح: " ثَلَاث من كن فِيهِ وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله وَمن كَانَ يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد إِذْ أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى فِي النَّار "[1] وَقَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: " ذاق طعم الْإِيمَان من رَضِي بِاللَّه رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دينا وَبِمُحَمَّدٍ نَبيا "[2]. وَأما أهل الْكفْر والبدع والشهوات فَكل بِحَسبِهِ." [3]

قال الإمام الفُلَّاني المالكي: " فَالْوَاجِب علينا أَن نقف مَعَ الِاقْتِدَاء بِمن يمْتَنع عَلَيْهِ الْخَطَأ ونقف عَن الِاقْتِدَاء بِمن يجوز عَلَيْهِ إِذا ظهر فِي الِاقْتِدَاء بِهِ إِشْكَال بل يعرض مَا جَاءَ عَن الْأَئِمَّة على الْكتاب وَالسّنة فَمَا قبلاه قبلناه ومالم يقبلاه تَرَكْنَاهُ وَمَا علمنَا بِهِ إِذا قَامَ لنا الدَّلِيل على اتِّبَاع الشَّارِع وَلم يقم لنا الدَّلِيل على اتِّبَاع أَقْوَال الْفُقَهَاء والصوفية وأعمالهم إِلَّا بعدعرضهَا وَبِذَلِك رَضِي

---

[1] . ينظر: صحيح البخاري، باب حلاوة الإيمان 1/12

[2] . ينظر: صحيح مسلم، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً 1/62

[3] . ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، العبودية،المحقق: محمد زهير الشاويش، (المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة السابعة المجددة 1426هـ - 2005م)68/1

شيوخهم علينا وَأَن مَا جَاءَ بِهِ صَاحب الوجد والذوق من الْعُلُوم وَالْأَحْوَال والفهوم يعرض على الْكتاب وَالسّنة فَإِن قبلاه صَحَّ وَإِلَّا لم يَصح" [1]

المبحث الثالث: الالهام. وهو من مصادر الاستدلال عند الصوفية، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الالهام

الالهام لغة: الالقاء فى الروع ، قال الفارابي: " والالهام: ما يلقى في الروع. يقال أَلْهَمَهُ الله. واسْتَلْهَمْتُ الله الصبر."[2]

وقال ابن فارس: "والإلهام: شيء يلقى في الروع، قال الله جل وعز -: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[3] " [4]

والالهام اصطلاحًا: هو نوع من الوحى الخفى يبعث على فعل الخير وترك الشر.

قال ابن الأثير: " الإِلْهَام: أَنْ يُلْقِيَ اللهُ فِي النَّفْس أمْراً، يَبْعَثُه عَلَى الفِعْل أَوِ التَّرْك، وَهُوَ نَوْع مِنَ الوَحْيِ يَخُصُّ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَاده." [5]

وقال الشريف الجرجاني: " وقيل: الإلهام: ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء، إلا عند الصوفيين." [6]

---

1. الفلاني، صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العَمْري المعروف بالفُلَّاني المالكي (المتوفى: 1218هـ)، إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، (دار المعرفة – بيروت، ت د)90/1
2. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي 2037/5
3. سورة الشمس ، أية 8
4. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، – 1406 هـ – 1986 م)797/1
5. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م)282/4
6. ينظر : التعريفات، للجرجاني34/1

وقال أبو البقاء: " الإلهام: هُوَ إِيقَاع الشَّيْء فِي الْقلب من علم يَدْعُو إِلَى الْعَمَل بِهِ من غير اسْتِدْلَال تَامّ وَلَا نظر فِي حجَّة شَرْعِيَّة وَقد يكون بطرِيق الْكَشْف، وَقد يحصل من الْحق من غير وَاسِطَة الْملك بِالْوَجْهِ الْخَاص الَّذِي لَهُ مَعَ كل مَوْجُود" ([1])

المسألة الثانية: ماثبت عن العلماء فى كون(الالهام) مصدرًا من مصادر الاستدلال عند الصوفية.

قال الجرجاني: " الإلهام: وهو ليس بحجة عند العلماء، إلا عند الصوفيين."[2]

قال ابن قيم الجوزية: " فالإلهام الملكي يكثر فِي الْقُلُوب الطاهرة النقية الَّتِي قد استنارت بِنور الله فللملك بهَا اتِّصَال وَبَينه وَبَينهَا مُنَاسبَة فَإِنَّهُ طيب طَاهِر لَا يجاور إِلَّا قلبا يُنَاسِبه فَتكون لمة الْملك بِهَذَا الْقلب أَكثر من لمة الشَّيْطَان وَأما الْقلب المظلم الَّذِي قد اسود بِدُخَان الشَّهَوَات والشبهات فإلقاء الشَّيْطَان ولمة بِهِ أَكثر من لمة الْملك" [3]

قال سليمان التيمي: " والهداية تورث الإلهام من ذي الجلال والإكرام المنان، وهو نفث في الروع من المولى الكريم لذوي الاستسلام، ويعقبه السكينة معنى ينزله الكريم المنان والطمأنينة نتيجة السكينة إذا قوي اليقين يأمن بها العبد إذا ذعر غيره من العبيد في مظاهر الانتقام والمجاهدة لأعداء كلمة الإسلام؟ "[4]

المسألة الثالثة: أقوال العلماء من أهل السنة فى بطلان الاحتجاج بالالهام كمصدر من مصادر التلقي.

[1] . الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، (مؤسسة الرسالة – بيروت، ت د)173/1

[2] . ينظر: التعريفات ، للجرجاني34/1

[3] . ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية – بيروت، ت د)257/1

[4] . سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 1233هـ)، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الأولى، 1404هـ/ 1984م)47/1

قال الإمام الذهبي: " معرفَة القضايا بالإلهام بِمَعْنى أَنه من ألهم أَنه صَادِق حكم بذلك بِمُجَرَّد الإلهام فَلَا يحل الحكم بِهَذَا فِي دين الْإِسْلَام وَلَو كَانَ الإلهام طَرِيقا كَانَ الرَّسُول أَحَق من قضى بِهِ وَكَانَ الله يُوحى إِلَيْهِ من هُوَ صَاحب الْحق فَلَا يحْتَاج إِلَى بَيِّنَة" [1]

قال إبراهيم الحلبي: " فَإِن الْكَشْف كالإلهام لَا يصلح دَلِيلا لِأَنَّهُ يُعَارض بِمثلِهِ

وَلَا يُمكن إِثْبَات الْأَوْلَوِيَّة" [2]

قال ابن الآلوسي: " صرح العلماء أن الإلهام ليس من أسباب المعرفة بالأحكام وكذلك الرؤيا خصوصاً إذا خالف الكتاب والسنة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام. انتهى." [3]

المسألة الرابعة: ترجيح الباحث:

يترجح لدى الباحث بعد عرض أقوال المجيزين لكون الالهام مصدر من مصادر التلقي

ويصح قبول الأحكام عنه، وقول من أنكر ذلك من العلماء ورفضه الآتي.

الالهام كما سبق بيانه، مايجده العبد فى نفسه خفية يشعر بصدقه، يأمر بالخير وينهاه عن الشر.

وعليه فالالهام من الله – تعالى– وليس للعبد كسب فيه، فلايصح أن يرفض وينكر جملة، كما لايصح أن يقبل جملة، بل الصواب– والله أعلم– أن يعرض من أتى من قبيل الالهام على الشرع قرءانًا وسنة، فما كان موافقًا منه للوحى قبلناه، ويعد من الله لعبده وصلًا وكرامة، وماكان منه مخالفًا للشرع، علمنا أنه من الشيطان – عياذا بالله– فيرفض ولايقبل.

---

[1] . ابن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، المحقق: محب الدين الخطيب، (ت د)510/1

[2] . إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحَلَبي الحنفي (المتوفى: 956هـ)، نعمة الذريعة في نصرة الشريعة، المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، (دار المسير – الرياض، الأولى، 1419هـ – 1998م)161/1

[3] . الآلوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: 1317هـ)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، قدم له: علي السيد صبح المدني – رحمه الله –، (مطبعة المدني، 1401 هـ – 1981 م)122/1

ومن الأدلة على عدم رد الالهام بالكلية، قول النبي– صلى الله عليه وسلم–: " لقد كَانَ فِيمَا قبلكُمْ من الْأُمَم ناسٌ محدثون، فَإِن يكن فِي أمتِي أحدٌ فَإِنَّهُ عمر "، قَالَ ابْن وهب: محدثون: ملهمون.[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وَالَّذين أَنْكَرُوا كَون الإلهام طَرِيقا شَرْعِيًّا على الْإِطْلَاق أخطئوا كَمَا أَخطَأَ الَّذين جَعَلُوهُ طَرِيقا شَرْعِيًّا على الْإِطْلَاق. وَلَكِن إِذا اجْتهد السالك فِي الْأَدِلَّة الشَّرْعِيَّة الظَّاهِرَة فَلم ير فِيهَا تَرْجِيحا وألهم حِينَئِذٍ رُجْحَان أحد الْفِعْلَيْنِ مَعَ حسن قَصده وعمارته بالتقوى فإلهام مثل هَذَا دَلِيل فِي حَقه؛ قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة؛ وَالْأَحَادِيث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة الَّتِي يحْتَج بهَا كثير من الخائضين فِي الْمَذْهَب وَالْخلاف وأصول الْفِقْه." [2]

المبحث الرابع: العلم اللدني. عند الصوفية، وفيه مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف العلم اللدني:

العلم اللدني: مصطلح من مصطلحات المتصوفة، ويقصد به " العلم الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري، وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صافٍ فارغ لطيف"([3])، " ويشير القوم بالعلم اللدني إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة، بل بإلهام من الله، وتعريف منه لعبده، كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى" ([4])

---

[1] . ينظر : صحيح البخاري ، باب مناقب عمر بن الخطاب 3/1349

[2] . ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : 728هـ)، جامع الرسائل،المحقق : د. محمد رشاد سالم، (دار العطاء – الرياض، الأولى 1422هـ – 2001م)94/2

[3] - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، (الناشر: مكتبة الفرقان – عجمان، الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ – 2001هـ)168/1

[4] - ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين445/2

المسألة الثانية: أقسام العلم اللدني:

ينقسم العلم اللدني إلى قسمين، الأول: لدني رباني، أى: يأت من قبل الرب الرحيم سبحانه وتعالى ، منة على عبده المؤمن ، فيبصره بحقائق الأمور ، ويريه ماعجز غيره عن إدراكه ورؤيته.

والثاني: لدنى شيطانى، أى منبعه ومنشأه الشيطان ، يزخرف ويوحى لأولياءه والمعرضين عن اتباع الحق والسعي خلفه، ليضلهم ويضل بهم غيرهم.

قال ابن القيم: " والعلم اللدني الرحماني: هو ثمرة هذه الموافقة، والمحبة التي أوجبها التقرب بالنوافل بعد الفرائض.

واللدني الشيطاني: ثمرة الإعراض عن الوحي، وتحكيم الهوى والشيطان. والله المستعان." ([1])،" والعلم اللدني " فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم. وهذا كما قال علي: إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وفي الأثر: " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم " وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كقوله: {ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا} {وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما} {ولهديناهم صراطا مستقيما} فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطا مستقيما وقال تعالى: {يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام} وقال تعالى: {والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم} وقال: {إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى} وقال تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} وقال تعالى: {هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون} وقال تعالى: {هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} ([2])

قال الإمام الغزالى: " ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى {وعلمناه من لدنا علماً} مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من

---

[1] - ينظر: ابن القيم، المدارج447/2

[2] - انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى245/13

خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر، وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضاً خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم" ([1])

---

[1] - الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، إحياء علوم الدين، (الناشر: دار المعرفة – بيروت)24/3

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل البركات والخيرات، وبتوفيقه تتحقق الأهداف والأمنيات والغايات، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والرسول النذير، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والصحب الكرام والتابعين، وسلم تسليما كثيرا كثيرا.

أهم النتائج والتوصيات:

1- التصوف علم من العلوم وفن من الفنون، له قواعد وأسس ، وقد دخله من الشطط والغلو مادخله غيره من العلوم الإسلامية.

2- ينبغي للباحثين وأهل الخبرة والعلم أن يتصدوا لتمحيص هذا العلم مما شابه من غلو، شان بهاءه، وشطط غير أوصافه وملامحه.

3- أئمة التصوف قد ساهموا فى رفع قدر هذا العلم المبارك علم التصوف ، والذى من شأنه قد دفع إلى مزيد من القرب إلى حضرة الرب تعالى ، والتمسك بتعاليم الدين الحنيف من منبعه الصافى.

4- لاينبغي أن يحكم على العلم بالظواهر الكونية، بل ترد هذه الظواهر إلى العلم فيضبطها ويقومها، فلايجوز الحكم على علم التصوف بمجرد رؤية بعض الغلاة من المنتسبين لهذا العلم " زورا وبهتانا" وما يظهر منهم للناس من مظاهر تنافى التعاليم السمحة للدين القويم، مثل الاختلاط فى الموالد، ولبس المقطع من الثياب، والرقص والتمايل إلى حد الهزل واللعب حال الذكر، وغير ذلك من مظاهر الغلو والبدع التى نراها من كثير ممن يدعى انتسابه إلى هذا العلم الشريف.

5- كما يوصي الباحث بمزيد من الاهتمام بشأن هذا العلم، تحقيقا ورعاية ، وتنقيحا وبحثا حتى يرد إلى منابعه الصافيه ، ويزاد عنه انتحال كل منتحل وغلو كل غالٍ.

قائمة المراجع:

1- **القران الكريم.**

2- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر،** تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م)

3- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، **طريق الهجرتين وباب السعادتين،** (دار السلفية، القاهرة، مصر، الثانية، 1394هـ)

4- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: 840هـ)، **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم،** حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الثالثة، 1415 هـ - 1994 م)

5- ابن تيمية، ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،** المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، (دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، السابعة، 1419هـ - 1999م)

6- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، **العبودية،** المحقق: محمد زهير الشاويش، (المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة السابعة المجددة 1426هـ - 2005م)

7- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، **المخصص،** المحقق: خليل إبراهم جفال، (دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى، 1417هـ 1996م)62/4

8- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، **مجمل اللغة لابن فارس،** دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، - 1406 هـ - 1986 م)

9- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،** المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، (مؤسسة الرسالة – بيروت)

10- أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: 1420هـ)، **جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية،** (دار الصميعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية)، الأولى - 1416 هـ - 1996 م)

11- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،** تحقيق: د. علي دحروج، (مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م)

12- الخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير،** (دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - 1420 هـ)

13- الدكتور سعدي أبو حبيب، **القاموس الفقهي،** (دار الفكر. دمشق – سورية، الثانية 1408 هـ = 1988 م ، تصوير: 1993 م)

14- الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، **المفيد في مهمات التوحيد،** (دار الاعلام، الطبعة: الأولى 1422هـ- 1423هـ)

15- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، **المصنف،** المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، (المجلس العلمي- الهند، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1403)

16- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: 350هـ)، **معجم ديوان الأدب** ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، (مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: 1424 هـ - 2003 م)

17- القاضي/حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، **صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال**، (سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (449) لسنة2009م، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي)

18- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، المحقق: إبراهيم البسيوني، (الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الثالثة)

19- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، (دار الكتب العلمية – بيروت)

20- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، (دار الكتب العلمية – بيروت)

21- د. سيف الدين يوسف خشان، **مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية**، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، ص97-132 ،يناير2019)

22- سليمان الأشعث، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، **سنن أبي داود**، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت)

23- عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، (مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، 1406 هـ - 1986 م)

24- عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، **الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة**، (مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- 1418هـ/ 1998م)

25- عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، **شرح تفسير ابن كثير**، (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية).

26- عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، **طريقك الى الإخلاص والفقه في الدين**، (الناشر: دار الاندلس الخضراء، الطبعة: الأولى، 1421هـ/ 2001م)

27- (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(دار الدعوة، ت ذ)

28- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحَلَبي الحنفي (المتوفى: 956هـ)، **نعمة الذريعة في نصرة الشريعة**، المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، (دار المسير – الرياض، الأولى، 1419هـ - 1998م)

29- ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: أحمد شاكر، (وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الأولى - 1418 هـ)

30- ابن العثيمين، محمد ابن عثيمين، الموقع الرسمي https://binothaimeen.net/content/8970

31- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة، 1416 هـ - 1996م)

32- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، دار الكتب العلمية – بيروت، ت د)

33- ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : 728هـ)، **جامع الرسائل**، المحقق : د. محمد رشاد سالم، (دار العطاء – الرياض، الأولى 1422هـ - 2001م)

34- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، **الإيمان**، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الخامسة، 1416هـ/1996م)

35- ابن تيمية، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م)

36- ابن جماعة، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: 733هـ)، **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، تحقق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، (دار السلام للطباعة والنشر – مصر، الأولى، 1410هـ – 1990م)

37- ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، (الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الأولى، 1423هـ – 2002م)

38- ابن عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، **كتاب التوحيد** ، المحقق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، (جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية)

39- ابن فقيه فصة، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقي، تقي الدين، العين والأثر في عقائد أهل الأثر، المحقق: عصام رواس قلعجي، (دار المأمون للتراث، الأولى، 1407هـ)

40- ابن قاسم، **عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (المتوفى: 1392هـ)، حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، (د، ت)**

41- ابن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال**، المحقق: محب الدين الخطيب، (ت د)

42- أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (849 – 911 هـ)، **مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود**، بعناية: محمد شايب شريف، (دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الأولى، 1433 هـ – 2012 م)1175/3

43- أبو أنس محمد بن فتحي آل عبد العزيز، أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، **فتح الرحمن في بيان هجر القرآن**، (دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الأولى، 1431 هـ – 2010 م)

44- أبو بكر محمد زكريا، **الشرك في القديم والحديث**، (رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز من شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الأولى، 1421 هـ - 2000 م)

45- أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)، **تخريج العقيدة الطحاوية**، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي – بيروت، الثانية، 1414 هـ)

46- أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: 386هـ)، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، (دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، تحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الثانية، 1426 هـ -2005 م)

47- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، **كتاب العين**، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)

48- إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: 1407هـ)، **دراسات في التصوف**، (دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، الأولى، 1426 هـ - 2005 م)

49- أحمد بن ناصر الطيار، **حياة السلف بين القول والعمل**، (دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام – المملكة العربية السعودية، الأولى، 1433 هـ)

50- الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقق: رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين – بيروت، الأولى، 1987م)

51- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى، 2001م)

52- الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**(دار الشروق، الأولى 1423 هـ - 2002 م)

53- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، **رسالة إلى أهل الثغر بباب**

الأبواب، تحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، (عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1413هـ)

54- الآلوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: 1317هـ)، **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين،** قدم له: علي السيد صبح المدني – رحمه الله -، (مطبعة المدني، 1401 هـ - 1981 م)

55- الإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: 1377 هـ)، **موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين،** (دار النوادر، سوريا، الأولى، 1431 هـ - 2010 م)

56- الإمام مسلم، **صحيح مسلم،** المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت)

57- الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ)، **غاية المرام في علم الكلام،** المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، ت د)

58- الأنكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون،** عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، (دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الأولى، 1421هـ - 2000م)

59- البربهاري، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى: 329هـ)، **شرح السنة.**

60- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، **مصرع التصوف** وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، المحقق: عبدالرحمن الوكيل، (عباس أحمد الباز - مكة المكرمة، ت د)

61- الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، **سنن الترمذي،** تحقيق أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الثانية، 1395 هـ - 1975 م)

62- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، **كتاب التعريفات**، تحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الأولى 1403هـ -1983م)

63- الجياني، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، **إكمال الأعلام بتثليث الكلام**، المحقق: سعد بن حمدان الغامدي، (جامعة أم القرى – مكة المكرمة – المملكة السعودية، الأولى، 1404هـ 1984م)

64- ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي)

65- الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، المحقق: د. علي حسين البواب، (دار ابن حزم – لبنان/ بيروت، الثانية، 1423هـ – 2002م)

66- الخادمي، بريقة محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (المتوفى: 1156هـ)، **محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية**، (مطبعة الحلبي، بدون طبعة، 1348هـ)

67- الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، **المفيد في مهمات التوحيد**، (دار الاعلام، الطبعة: الأولى 1422هـ- 1423هـ)

68- الذهبي، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، **تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره**، (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الثانية، ت د)

69- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، **العرش**، تحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، (عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الثانية، 1424هـ/2003م)

70- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية – **مجلة دورية** تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (عدد الأجزاء: 95 جزء)

71- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، **الأعلام**، (دار العلم للملايين، الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م)

72- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، **الفائق في غريب الحديث والأثر**،المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعرفة – لبنان، الثانية، ت د)

73- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، الأولى 1420هـ -2000 م)

74- السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي 1188هـ)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، (مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الثانية - 1402 هـ - 1982 م)

75- السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : 1188هـ)، **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب**، (مؤسسة قرطبة – مصر، الثانية ، 1414 هـ / 1993م)

76- السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي(المتوفى: 1188 هـ)، **لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية** «شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية»، دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الأولى، 1415 هـ - 1994 م)

77- السنوسي، محمد بن علي السنوسيين، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية** ،(دار المعارف، 1، مصر ،1966)

78- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، (مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الأولى، 1424هـ - 2004 م)

79- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، **جامع الأحاديث** (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح

الكبير للنبهانى)، (ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)، د حسن عباس زكى، ت د)

80- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، **الاعْتِصَام**، (دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الأولى، 1429 هـ - 2008 م)

81- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، **فتح القدير**، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الأولى - 1414 هـ)

82- الشينقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ)

83- الصلابي، د. على محمد محمد الصلابي، **تاريخ الحركة السنوسية فى أفريقيا**، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2009م)

84- العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، (أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الأولى، 1419هـ/1999م)

85- الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، **إحياء علوم الدين**، (دار المعرفة - بيروت ، ت د)

86- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، **معارج القدس في مدراج معرفة النفس**، (دار الآفاق الجديدة – بيروت، الثانية، 1975، ت د)

87- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: 350هـ)، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، (مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1424 هـ - 2003 م)

88- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين – بيروت، الرابعة 1407 هـ - 1987 م)

89- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، **كتاب العين**، تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، ت ذ)

90- الفلاني، صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العَمْري المعروف بالفُلَّاني المالكي (المتوفى: 1218هـ)، **إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار**، (دار المعرفة – بيروت، ت د)

91- الفيروز ابادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الثامنة، 1426 هـ – 2005 م)

92- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، **الرسالة القشيرية**، (تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ت د)

93- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، (مؤسسة الرسالة – بيروت، ت د)

94- الكلاباذى، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ)، **التعرف لمذهب أهل التصوف**، (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ت د)

95- المتقى الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**(المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م)

96- المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى، 1365 هـ – 1946 م)

97- المزى، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: 742هـ)، **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**(المحقق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيمة، الثانية: 1403هـ، 1983م)

98- المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية** ، (المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، الأولى، ت د)

99- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ)، **تجريد التوحيد المفيد**، المحقق: طه محمد الزيني، (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: 1409هـ/1989م)

100- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الأولى، 1410هـ-1990م)

101- الموقع الرسمي للشيخ الحبيب الجفري https://www.alhabibali.com/

102- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرابعة، 1420 هـ)

103- النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي (المتوفى: 1379هـ)، **حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي**، (دار سوزلر للطباعة والنشر، الثانية، 1988م)

104- النووى، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**،(دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثانية، 1392)

105- الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، **غريب الحديث**، تحقق: د. محمد عبد المعيد خان، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الأولى، 1384 هـ - 1964 م)

106- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، المحقق: حسام الدين القدسي، (مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م)

107-تامر محمد محمود متولي، **منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة،** (دار ماجد عسيري، الأولى 1425هـ-2004م)

108-تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، **موجز دائرة المعارف الإسلامية،** (مركز الشارقة للإبداع الفكري، الأولى، 1418 هـ - 1998 م)

109-د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة،** (عالم الكتب، الأولى، 1429 هـ - 2008 م)

110-د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **أنواع الصبر ومجالاته - مفهوم، وأهمية، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة،** (مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض)

111-د. غالب بن علي عواجي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها،** (المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الرابعة، 1422 هـ - 2001 م)

112-رزوق، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: 899هـ)، **عدة المريد الصادق،** المحقق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، (دار ابن حزم، الأولى، 1427 هـ - 2006 م)

113-سفر بن عبد الرحمن الحوالي، **منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني،** (الدار السلفية، الأولى1407 هـ - 1986 م)

114-سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 1233هـ)، **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،** (دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الأولى، 1404هـ/ 1984م)

115-شيخ الإسلام ابن تيمية، ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، **درء تعارض العقل والنقل،** تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الثانية، 1411 هـ - 1991 م)

116- شيخ الإسلام ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م)

117- شيخ الإسلام ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، (مكتبة الفرقان – عجمان، الأولى (لمكتبة الفرقان) 1422هـ - 2001هـ)

118- عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، (مكتبة الرشد – الرياض، الأولى، 1415 هـ / 1995 م)

119- عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، (مكتبة ابن تيمية، الكويت، الثالثة، 1406 هـ - 1986 م)

120- عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، **شرح العقيدة الطحاوية**، (دار التدمرية، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م)

121- عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، (د.ت)

122- عبد الله بن صالح الفوزان، **حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول**، (الناشر: مكتبة الرشد)

123- عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، **الرسل والرسالات**، (مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الرابعة، 1410 هـ - 1989 م)

124- قوام السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ)، **الترغيب والترهيب**، (المحقق: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث – القاهرة، الأولى 1414 هـ - 1993 م)

125- اللإمام الشعراني، **الطبقات الكبرى**، (دار الكتب العليمة، بيروت)

126- **مجلة البحوث الإسلامية** - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (عدد الأجزاء: 95 جزءا، ت د)

127- مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام،** (موقع الدرر السنية على الإنترنت، ت د)

128- مجموعة من المؤلفين، مجلة جامعة أم القرى، (موقع المجلة على الإنترنت، مرقم آلي)

129- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(المتوفى: 370هـ)، **تهذيب اللغة،** المحقق: محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى، 2001م)

130- محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي(المتوفى: 1057هـ)، **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين،** اعتنى بها: خليل مأمون شيحا،(دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الرابعة، 1425 هـ- 2004 م)

131- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(المتوفى : 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = **تفسير البغوي،** المحقق: عبد الرزاق المهدي(دار إحياء التراث العربي –بيروت، الأولى ، 1420 هـ)

132- الجوهري،أبو نصر إسماعيل بن حماد (المتوفى: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4 1407 هـ - 1987 م)

133- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، **موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة،** مصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، الأولى، 1425 هـ- 2004 م)، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرابعة، 1420هـ)

فهرس المحتويات